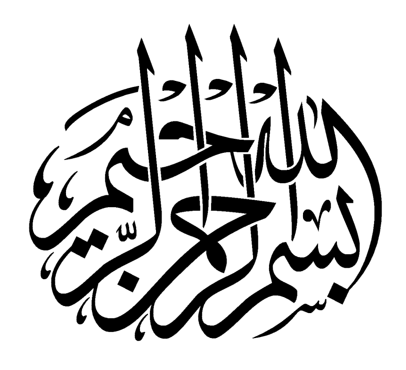
منتخب العقد الفريد

لابن عبد ربه الأندلسي ٣٢٨هـ

تهذيب

أحمد الجرابلسي

الجزء الأول



دار الأسوار

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالكاتب والكتاب وعملي فيه

المؤلف هو: أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ ربِّهِ القرطبي الأندلسي، وُلِد عام ٢٤٦هـ في قرطبة ومات فيها سنة ٣٢٨ هـ، أثنىٰ عليه العلماء ثناء عطرا، قال عنه الثعالبي في اليتيمة: "أحد محاسن الأندلس علمًا وفضلًا وأدبًا ومثلًا؛ وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة، وعليه رونق البلاغة والطلاوة"٢/ ٧٤.

وقالوا عنه: حجة الأدب، وهو عالم شاعر، جمعت أشعاره في ديوان، وله أراجيز في التاريخ وغيره، وكتب في طبائع النساء، والأمثال، والعقد أهم كتبه التي وصلتنا.

كتاب العقد: ضمنه اختيارات كثيرة من عيون الأخبار لابن قتيبة، وكتب الجاحظ، والمبرد، وكتب التاريخ، ونقل عن الأصمعي، والضبي، وسيبويه وغيرهم، والكتاب هو موسوعة معارف أدبية، قسمه علىٰ خمسة وعشرين بابا، وكل باب جزآن، فكان في خمسين جزءا، وموضوعاته مختلفة سماها بأسماء أحجار كريمة، مثل كتاب اللؤلؤة في السلطان، والفريدة في الحروب، والزبرجدة في الأجواد، والجمانة في الوفود وهكذا، وقد نقل عن آداب الأمم الأخرىٰ كالفرس وحكماء الهند وغيرهم، وكان يبدأ كل كتاب بإنشائه شعرا ونثرا، ويسميه الفرش، ثم يضع اختياراته، ويختصر الأسانيد، وينهي الكتاب بشيء من كلماته وأشعاره الرائقة، أذكر هنا مثالا من غزله:

يا لؤلؤاً يَسْبي العقولَ أَنِيقا ** وَرَشاً بتقطيعِ القُلوبِ رَفيقا

ما إنْ رأَيْتُ وَلا سَمْعتُ بِمِثْلِهِ ** دُرّاً يعودُ مِنَ الحياءِ عَقيقا

وإذا نَظرتَ إلىٰ محاسنِ وجههِ ** أبصَرْتَ وجْهَكَ في سَناهُ غَريقا

يَا منْ تَقَطعَ خَصْرُهُ مِنْ رقَّةٍ ** مَا بـالُ قَلْبِكَ لا يَكُونُ رَقِيقا

ثم ترك الغزل آخر حياته، وكتب زهديات سماها الممحصات، قال ابن خلكان عنه: وهو من الكتب الممتعة حوىٰ من كل شي. ويقال إن صاحب المستطرف أضاف لفظ الفريد لكلمة العقد، فصار اسمه العقد الفريد، وقام باختصاره الرياشي في القرن السادس الهجري، وابن منظور صاحب لسان العرب وغيرهم.

-عملي في الكتاب: هو خيار من خيار، وانتخاب من اختيار، فبعد أن قرأت الكتاب كاملا وهو في ثماني مجلدات، لخصت أهم ما راق لي في أجزاء، وحذفت المكرر، وأهملت الأسانيد، وحذفت تفاصيل الأسماء في رجال الأنساب لأنها لا تهم الأديب كثيرا، وتجاوزت كتاب علل القوافي، لأنه علم مستقل بذاته، وإذا أضفت شيئا وضعته بين قوسين ( )

لفصل كلامي عن كلام المؤلف، ولم أكثر من ذلك، إلا لحاجة، وأحيانا أذكر الفائدة التي وقفت عليها من عبارته بكلمة واحدة أو كلمتين فقط، كي لا أطيل، فكان مجموع المنتخب في ثمانين ورقة، وهي مكتوبة بخطي، ثم قمت بطباعتها علىٰ برنامج رقمي محدث، وأخرجت علىٰ هذا الوجه لتعم الفائدة، والله الموفق.

-محتوىٰ الكتاب:

١-كتاب اللؤلؤة في السلطان.

٢-ثم كتاب الفريدة في الحروب .

٣-ثم كتاب الزّبرجدة في الأجواد والأصفاد.

٤-ثم كتاب الجمانة في الوفود.

٥-ثم كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك.

٦-ثم كتاب الياقوتة في العلم والأدب.

٧-ثم كتاب الجوهرة في الأمثال.

٨-ثم كتاب الزّمردة في المواعظ والزّهد.

٩-ثم كتاب الدّرّة في التعازي والمراثي.

١٠-ثم كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب.

١١-ثم كتاب العسجدة في كلام الأعراب.

١٢-ثم كتاب المجنّبة في الأجوبة.

١٣-ثم كتاب الواسطة في الخطب.

١٤-ثم كتاب المجنّبة الثانية في التّوقيعات والفصول والصّدور وأخبار الكتبة.

١٥-ثم كتاب المسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم.

١٦- كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجّاج والطالبيّين والبرامكة .

١٧-ثم كتاب الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم.

١٨-ثم كتاب الزّمرّدة الثانية في فضائل الشّعر ومقاطعه ومخارجه.

١٩-ثم كتاب الجوهرة الثانية في أعاريض الشّعر وعلل القوافي.

٢٠-ثم كتاب الياقوتة الثانية في علم الألحان واختلاف الناس فيه.

٢١-ثم كتاب المرجانة الثانية في النّساء وصفاتهنّ.

٢٢-ثم كتاب الجمانة الثانية في المتنبّئين والممرورين والبخلاء والطّفيليّين.

٢٣-ثم كتاب الزّبرجدة الثانية في بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان .

٢٤-ثم كتاب الفريدة الثانية في الطّعام والشراب.

٢٥-ثم كتاب اللؤلؤة الثانية في النّتف والهدايا والفكاهات والملح.

مقدمة المؤلف:

بدأها بحمد الله..الذي قرن بالفضل رحمته وبالعدل عذابه..ثم قال:

وقد ألّفت هذا الكتاب، وتخيّرت جواهره من متخيّر جواهر الآداب، ومحصول جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب، واختيار الكلام أصعب من تأليفه. وقد قالوا: اختيار الرجل وافد عقله.

وقال أفلاطون: عقول الناس مدوّنة في أطراف أقلامهم، وظاهرة في حسن اختيارهم..

وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهرا، وأظهرها رونقا، وألطفها معنىٰ، وأجزلها لفظا، وأحسنها ديباجة، وأكثرها طلاوة وحلاوة؛ آخذا بقول الله تبارك وتعالىٰ: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}...

قال العتّابي:.. لا سبيل إلىٰ السلامة من ألسنة العامة. وقال: من قرض شعرا أو وضع كتابا، فقد استهدف للخصوم، واستشرف للألسن، إلا عند من نظر فيه بعين العدل، وحكم بغير الهوىٰ، وقليل ما هم.

وحذفت الأسانيد.. هربا من التثقيل والتّطويل؛ لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر، لا ينفعها الإسناد باتّصاله، ولا يضرّها ما حذف منها.

وقد كان بعضهم يحذف أسانيد الحديث من سنّة متّبعة، وشريعة مفروضة؛

فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة، ومثل سائر، وخبر مستطرف، وحديث يذهب نوره إذا طال وكثر.

وحدّث ابن السّمّاك بحديث، فقيل له: ما إسناده؟ فقال: هو من المرسلات عرفا. وحدّث الحسن البصريّ بحديث، فقيل له: يا أبا سعيد، عمّن؟ قال: وما تصنع بعمّن يا بن أخي؟ أمّا أنت فنالتك موعظته، وقامت عليك حجّته.

..وختمها بقوله:.. ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا علىٰ قاصيته وبلدنا علىٰ انقطاعه، حظّا من المنظوم والمنثور. (وفي هذا رد علىٰ المعتمد بن عباد لما قال في العقد: هذه بضاعتنا ردت إلينا. يقصد عدم تناوله أخبار المغرب).

وسمّيته كتاب العقد الفريد، لما فيه من مختلف جواهر الكلام، مع دقة السّلك وحسن النّظام؛ وجزأته علىٰ خمسة وعشرين كتابا، كل كتاب منها جزآن، فتلك خمسون جزءا في خمسة وعشرين كتابا، وقد انفرد كلّ كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد، فأوّلها:

كتاب اللّؤلؤة في السلطان:

السلطان زمام الأمور، ونظام الحقوق، وقوام الحدود، والقطب الذي عليه مدار الدين و الدنيا. وهو حمىٰ الله في بلاده، وظلّه الممدود علىٰ عباده، به يمتنع حريمهم، وينتصر مظلومهم، وينقمع ظالمهم، ويأمن خائفهم.

ومن شأن الرعيّة قلة الرضىٰ عن الأئمة، وتحجّر العذر عليهم ، وإلزام اللائمة لهم، ورب ملوم لا ذنب له. ولا سبيل إلىٰ السلامة من ألسنة العامة، إذ كان رضىٰ جملتها وموافقة جماعتها، من المعجز الذي لا يدرك، والممتنع الذي لا يملك.

قول زياد لأهل العراق: إني لو علمت أنّ أحدكم قد قتله السّل من بغضي لم أكشف له قناعا، ولم أهتك له سترا، حتىٰ يبدي صفحته لي. قالوا: من كتم السلطان نصيحته، والأطباء مرضه، والإخوان بثّه، فقد أخلّ بنفسه. ..وقالوا في صحبة أهل

السلطان:.. تعلّمهم وكأنك تتعلّم منهم، وتؤدّبهم وكأنك تتأدب بهم. وقال الأصمعي: توصلت بالملح وأدركت بالغريب. وقال أبو حازم الأعرج لسليمان بن عبد الملك: إنما السلطان سوق، فما نفق عنده حمل إليه.

ولما قدم معاوية من الشام، وكان عمر قد استعمله عليها، دخل علىٰ أمه هند؛ فقالت له: يا بنيّ، إنه قلما ولدت حرة مثلك، وقد استعملك هذا الرجل، فاعمل بما وافقه، أحببت ذلك أم كرهته. ثم دخل علىٰ أبيه أبي سفيان؛ فقال له: يا بنيّ، إنّ هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم، فرفعهم سبقهم وقصّر بنا تأخّرنا، فصرنا أتباعا وصاروا قادة؛ وقد قلّدوك جسيما من أمرهم؛ فلا تخالفن أمرهم، فإنك تجري إلىٰ أمد لم تبلغه...قال معاوية: فعجبت من اتفاقهما في المعنىٰ علىٰ اختلافهما في اللفظ.

قال أبرويز لصاحب بيت المال: إني لا أعذرك في خيانة درهم، ولا أحمدك علىٰ صيانة ألف ألف؛ لأنك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم أمانتك، فإنك إن خنت قليلا خنت كثيرا

... واحترس من خصلتين: النّقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطي.

رد معاوية علىٰ عمر لما سأله عن موكبه.. لأنا في بلد لا نمتنع فيها من جواسيس العدوّ، ولا بدّ لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان؛ فإن أمرتني بذلك أقمت عليه، وإن نهيتني عنه انتهيت. فقال: لئن كان الذي تقول حقا، فإنه رأي أريب؛ وإن كان باطلا خدعة أديب.

قصة الحارثي مع عمر وما احتوتها من ألفاظ غريبة .. (لثت عمامة علىٰ رأسي) يقول: أدرتها بعضها علىٰ بعض علىٰ غير استواء "صلائق" هي شيء يعمل من اللحم، فمنها ما يطبخ ومنها ما يشوىٰ يقال: لحم غريض، تراد به الطراوة و«سبائك» يريد الحوّاري من الخبز و«الصناب» طعام يؤخذ من الزبيب والخردل وقوله: «أكسار بعير» فالكسر والقصل والجزل: العظم يفصل ما عليه من اللحم وقوله «نعىٰ علىٰ

قوم شهواتهم» أي عابهم بها ووبّخهم.

معاوية: كفّ عنه يا بن عباس، فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت.

دهاء عمرو عندما جمعه عمر مع معاوية للمحاسبة فاختلق شجارا مع معاوية تهربا من محاسبة عمر وطلبوا أبا سفيان فقال: لهذا بعثت إليّ؟ أخوه وابن عمه؛ وقد أتىٰ غير كبير، وقد وهبت ذلك له.

وقالوا: ينبغي لمن صحب السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة وإن استثقلها، وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خرق، حتىٰ يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك، ولكن يضرب له الأمثال، ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه.

وقالوا: من تعرّض للسلطان ازدراه، ومن تطامن له تخطّاه.

..اختيار الرجال. عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم. وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه: دلّوني علىٰ رجل أستعمله. فقال له روح ابن زنباع: أدلك يا أمير المؤمنين علىٰ رجل إن دعوتموه أجابكم، وإن تركتموه لم يأتكم، ليس بالملحف طلبا، ولا بالممعن هربا: عامر الشّعبي؛ فولاه قضاء البصرة.

من ليس بأهل.. سريع الغضب بعيد الرضا، يسأل الكثير ويمنع القليل، يحسد أخاه، وينافس أباه، ويحقر مولاه.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد: فرّ من الشرف يتبعك الشرف، واحرص علىٰ الموت توهب لك الحياة.

وقال إياس بن معاوية: أرسل إليّ ابن هبيرة فأتيته، فساكتني فسكتّ، فلما أطلت قال: هيه. قلت: سل عما بدا لك. قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: أتفرض الفرائض؟ قلت: نعم. قال: أتعرف من أيام العرب شيئا؟ قلت: نعم. قال: أتعرف من أيام العجم شيئا" معرفة الأمم الأخرىٰ"؟ قلت: أنا بها أعرف. قال: إني أريد أن أستعين بك علىٰ عملي...

أهل الكوفة.. إن وليت عليهم التقيّ ضعّفوه، وإن وليت عليهم القويّ فجّروه.. التقيّ الضعيف له تقواه وعليك ضعفه، والقويّ الفاجر لك قوّته وعليه فجوره.

كتب الوليد بن عبد الملك إلىٰ الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه بسيرته" سيرة ذاتية"، فكتب إليه: إني أيقظت رأيي وأنمت هواي، فأدنيت السيّد المطاع في قومه، ووليت المجرّب الحازم في أمره، وقلّدت الخراج الموفّر لأمانته... وصرفت السيف إلىٰ النّطِفِ المسيء(المريب) والثواب إلىٰ المحسن البريء؛ فخاف المريب صولة العقاب، وتمسك المحسن بحظه من الثواب

وقال أردشير لابنه: يا بني، إنّ الملك والعدل أخوان لا غنىٰ بأحدهما عن صاحبه، فالملك أسّ والعدل حارس، وما لم يكن له أسّ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع.

وقالت الحكماء: مما يجب علىٰ السلطان العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه؛ فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان. ومدار السياسة كلها علىٰ العدل والإنصاف، لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما ولا يدور إلا عليهما، مع ترتيب الأمور مراتبها وإنزالها منازلها.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من كان له سيف مسلول، ومال مبذول، وعدل تطمئن إليه القلوب.

مسايرة السلطان..سياسة الملك: وقالوا: إذا زادك الملك إكراما فزده إعظاما، وإذا جعلك عبدا فاجعله ربّا ولا تديمن النظر إليه، ولا تكثر من الدعاء له في كلّ كلمة ولا تتغيّر له إذا سخط ولا تغترّ به إذا رضي، ولا تلحف في مسألته.(كلام لا نوافقه).

وليكن حكمه علىٰ غيره بمثل حكمه علىٰ نفسه؛ فإنما يعرف حقوق الأشياء من عرف مبلغ حدودها ومواقع أقدارها...ولا يكون أحد سلطانا حتىٰ يكون قبل ذلك رعيّة.

بعض الملوك يصف سياسته: ..ولا عاقبت للغضب. واستكفيت ، وأثبت علىٰ الغناء لا للهوىٰ. وأودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت ، وودّا لم تشبه جرأة. وعممت بالقوت، ومنعت الفضول.

لأعرابي في وصف أمير..كان إذا ولىٰ لم يطابق بين جفونه، وأرسل العيون علىٰ عيونه؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم؛ فالمحسن راج والمسيء خائف.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يصلح لهذا الأمر إلا اللين في غير ضعف، القويّ في غير عنف.

أرسطو للإسكندر: واعلم أن الرعية إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل.(تكميم الأفواه).

عمرو يحذر معاوية من قريش: ..من يضحك في الغضب، ولا ينام إلا علىٰ الرضىٰ، ويتناول ما فوقه من تحته.

وقال يوم صفين له:.. أفتدري متىٰ يفسد هذا وفي كم ينتقض جميعه؟ قلت: لا. قال: في يوم واحد.

وكتب عبد الله بن عباس إلىٰ الحسن بن علي إذ ولاه الناس أمرهم بعد علي رضي الله عنه: أن شمّر للحرب، وجاهد عدوّك، واشتر من الظّنين(من لا يوثق به) دينه بما لا يثلم دينك، وولّ أهل البيوتات تستصلح بهم عشائرهم.

وقال أبرويز لابنه شيرويه: لا توسّعن علىٰ جندك سعة يستغنون بها عنك، ولا تضيّقنّ عليهم ضيقا يضجون به منك؛ ولكن أعطهم عطاء قصدا؛ وامنعهم منعا جميلا، وابسط لهم في الرجاء، ولا تبسط لهم في العطاء.

بين المنصور وقواده: ونحو هذا قول المنصور لبعض قوّاده. صدق الذي قال: أجع كلبك يتبعك، وسمّنه يأكلك. فقال له أبو العباس الطّوسيّ: يا أمير المؤمنين، أما تخشىٰ إن أجعته أن يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك.

وكتب أبرويز إلىٰ ابنه شيرويه من الحبس: اعلم أنّ كلمة منك تسفك دماء وأخرىٰ تحقن دماء، وأنّ سخطك سيف مسلول علىٰ من سخطت عليه، وأن رضاك بركة مستفيضة علىٰ من رضيت عنه، وأنّ نفاذ أمرك مع ظهور كلامك. فاحترس في غضبك من قولك أن يخطئ. ومن لونك أن يتغيّر، ومن جسدك أن يخفّ؛ فإن الملوك تعاقب حزما وتعفو حلما. واعلم أنك تجلّ عن الغضب، وأن ملكك يصغر عن رضاك، فقدّر لسخطك من العقاب كما تقدر لرضاك من الثواب.

وخطب سعيد بن سويد بحمص فقال: ..وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل.

قصة امرأة مظلومة مع المأمون:

يا خيرَ مُنتَصِفٍ يُهدىٰ له الرَّشَدُ *** ويا إماماً به قد أشرَقَ البَلَدُ

تشكو إليكَ عميدَ القوم أرمَلَةٌ *** عُدِّي عليها فلم يُترك لها سَبَدُ

وابتُزَّ منِّي ضياعي بَعدَ مَنعَتِها *** ظُلماً وفُرِّقَ منِّي الأهلُ والولدُ

(وكانت خصومتها مع ابنه فحكم لها عليه).

حصلت خصومة بين هشام وإبراهيم بن محمد فحكم القضاء علىٰ هشام وقال : لا يثبت الحق لك ولا عليك إلا ببينة.

وقال معاوية: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد عليّ ناصرا إلا الله.

وكتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته، فكتب إليه: حصّنها بالعدل ونقّ طرقها من الظلم.

وقال المهدي للربيع بن أبي الجهم- وهو والي أرض فارس: يا ربيع، آثر الحق، والزم القصد، وابسط العدل، وارفق بالرعية، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه، وأجورهم من ظلم الناس لغيره.

قال جعفر بن يحيىٰ: الخراج عمود الملك، وما استغزر بمثل العدل، ولا استنزر بمثل الظلم.

مثل : إذا صلحت العين صلحت سواقيها.

بين مروان ووكيله: اطلع مروان بن الحكم علىٰ ضيعة له بالغوطة، فأنكر منها شيئا، فقال لوكيله: ويحك! إني لأظنك تخونني. قال: أتظن ذلك ولا تستيقنه. قال: وتفعله؟ قال: نعم والله، إني لأخونك، وإنك لتخون أمير المؤمنين، وإن أمير المؤمنين ليخون الله؛ فلعن الله شر الثلاثة.

قال عمرو بن العاص: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

وقال العباس بن الأحنف:

قلبي إلىٰ ما ضرّني داعي ** يكثر أحزاني وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوّي إذا ** كان عدوّي بين أضلاعي

قالوا: ليس شيء أضر بالسلطان من صاحب يحسن القول ولا يحسن الفعل، ولا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع الوفاء، ولا في الفقه إلا مع الورع، ولا في الصدقة إلا مع حسن النية، ولا في الحياة إلا مع الصحة.

قالوا: إن السلطان إذا كان صالحا ووزراؤه وزراء سوء امتنع خيره من الناس، ولم يستطع أحد أن ينتفع منه بمنفعة. وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكون فيه التمساح، فلا يستطيع أحد أن يدخله وإن كان محتاجا إليه.

كتب الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز:.. اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كلّ مائل ، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف،

ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف....فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة.

قال عبد الملك بن مروان: أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوّة.

قال ابن قتيبة: لم يقل بيت أبدع من قول الشاعر لبعض خلفاء بني أمية:

يغضي حياء ويغضىٰ من مهابته ** فلا يكلّم إلّا حين يبتسم

وأحسن منه عندي قول الآخر:

فتىٰ زاده عزّ المهابة ذلّة ** فكلّ عزيز عنده متواضع

قال الحسن بن هانيء في هيبة السلطان مع محبة الرعية:

إمام عليه هيبة ومحبة ** ألا بأبي ذاك المهيب المحبّب

قال آخر في الهيبة وإن لم تكن في طريق السلطان:

بنفسي من لو مرّ برد بنانه ** علىٰ كبدي كانت شفاء أنامله

ومن هابني في كلّ شيء وهبته ** فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

وليس بمعطي العفو من غير قدرة ** ويعفو إذا ما مكّنته المقاتل

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: يا أبت، مالك لا تنفذ في الأمور، فو الله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور. قال له عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله تعالىٰ ذم الخمر في القرآن مرتين وحرّمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس علىٰ الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة.

قال المنصور لولده عبد الله المهدي: وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.

قال أبو عبد الله كاتب المهديّ: ما أحوج ذا القدرة والسلطان إلىٰ قرين يحجزه، وحياء يكفّه، وعقل يعقله، وإلىٰ تجربة طويلة، وعين حفيظة، وأعراق تسري إليه، وأخلاق تسهّل الأمور عليه، وإلىٰ جليس شفيق، وصاحب رقيق، وإلىٰ عين تبصر العواقب، وقلب يخاف الغِيّر (غِيَرُ الدَّهْرِ نَوَائِبُهُ).

وكتب أردشير إلىٰ رعيّته: من أردشير المؤيد ملك الملوك ووارث العظماء، إلىٰ الفقهاء الذين هم حملة الدين، والأساورة الذين هم حفظة البيضة، والكتّاب الذين هم زينة المملكة، وذوي الحرث الذين هم عماد البلاد: السلام عليكم، فإنا بحمد الله إليكم سالمون؛ فقد وضعنا عن رعيّتنا بفضل رأفتنا بها إتاوتها الموضوعة عليها ، ونحن مع ذلك كاتبون إليكم بوصية فاحفظوها: لا تستشعروا الحقد فيدهمكم العدو، ولا تحتكروا فيشملكم القحط؛ وتزوّجوا في الأقارب فإنه أمس للرحم وأثبت للنسب، ولا تعدّوا هذه الدنيا شيئا؛ فإنها لا تبقي علىٰ أحد، ولا ترفضوها فإن الآخرة لا تدرك إلا بها.

وصية مروان بن الحكم لولده حين ولاه مصر: ..فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدّقوك في الحق، واستشر جلساءك وأهل العلم، فإن لم يستبن لك، فاكتب إليّ يأتك رأيي فيه إن شاء الله تعالىٰ، وإن كان بك غضب علىٰ أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب.

كتب معاوية لزياد...إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلن جميعا فتمرح الناس في المعصية، ولا نستبد جميعا فنحمل الناس علىٰ المهالك. ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة.

قالوا: ينبغي للعاقل ألّا يستصغر شيئا من الخطأ والزلل، فانه متىٰ ما استصغر الصغير يوشك أن يقع في الكبير...فقد رأينا الملك يؤتىٰ من العدوّ المحتقر، ورأينا الصحة تؤتىٰ من الدواء اليسير، ورأينا الأنهار تتدفق من الجداول الصغار.

وقيل لملك سلب ملكه: ما الذي سلبك ملكك؟ قال: دفع شغل اليوم إلىٰ

غد...والمخدوع عن عقله من بلغ قدرا لا يستحقه، وأثيب ثوابا لا يستوجبه.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: انتهزوا هذه الفرص فإنها تمرّ مرّ السحاب، ولا تطلبوا أثرا بعد عين.

قال المغيرة بن شعبة: ما رأيت أحدا هو أحزم من عمر، كان والله له فضل يمنعه أن يَخدع، وعقل يمنعه أن يُخدع.

هجا رجل من الشعراء سعد بن أبي وقاص يوم القادسية :

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ** ونسوة سعد ليس فيهنّ أيّم

فقال سعد: اللهم اكفني يده ولسانه. فقطعت يده وبُكم لسانه.

(ديوان المحاسبة عند عمر)

(محاسبته لوالي البصرة أبي موسىٰ الأشعري)-قال: فما جفنتان تعملان عندك؟ قال: رزقي شاة في كل يوم، فيعمل نصفها غدوة ونصفها عشية. قال: فما مكيالان بلغني أنهما عندك؟ قال: أمّا أحدهما فأوفّي أهلي به وديني، وأمّا الآخر فيتعامل الناس به. قال: ادفع لنا عقيلة، والله إنك لمؤمن لا تغلّ أو فاجر مبلّ(خبيث)، ارجع إلىٰ عملك عاقصا بقرنك مكتسعا بذنبك(يعني الذلة والمهانة)، والله إن بلغني عنك أمر لم أعدك.

ثم دعا أبا هريرة فقال له: هل علمت من حين أني استعملتك علىٰ البحرين وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراسا بألف دينار وستمائة دينار؟ قال: كانت لنا أفراس تناتجت، وعطايا تلاحقت، وسهام تتابعت. قال قد حسبت لك رزقك ومؤونتك وهذا فضل فأدّه. قال: ليس لك ذلك. قال: بلىٰ والله وأوجع ظهرك! ثم قام إليه بالدّرّة فضربه حتىٰ أدماه، ثم قال: إيت بها. قال: احتسبتها عند الله. قال: ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعا، أجئت من أقصىٰ حجر بالبحرين يجبي الناس لك لا لله ولا للمسلمين؟ ما رجعت بك أميمة إلا لرعية الحمر... قال: فقبضها مني، فلما

صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين. فقال لي بعد ذلك: ألا تعمل؟ قلت لا. قال: قد عمل من هو خير منك يوسف صلوات الله عليه. قلت: يوسف نبيّ وأنا ابن أميمة، أخشىٰ أن يشتم عرضي، ويضرب ظهري، وينزع مالي.

قال: ثم دعا عمر الحارث بن وهب، فقال: ما قلاص وأعبد بعتها بمائتي دينار؟ قال: خرجت بنفقة معي فتجرت فيها. فقال: أما والله ما بعثناكم لتتّجروا في أموال المسلمين، أدّها.

كتب عمر بن الخطاب إلىٰ عمرو بن العاص، وكان عامله علىٰ مصر: من عبد الله عمر بن الخطاب إلىٰ عمرو بن العاص، سلام عليك، أما بعد: فإنه بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك، فاكتب إليّ من أين أصل هذا المال ولا تكتمه.(كشف الذمة المالية)

كتب عمرو له..إني بأرض السّعر فيه رخيص، وإني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله، وفي رزق أمير المؤمنين سعة، والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك، فأقصر أيها الرجل، فإن لنا أحسابا هي خير من العمل لك، إن رجعنا إليها عشنا بها.

ورد عمر...فإنكم أيها الرّهط الأمراء جلستم علىٰ عيران المال، لم يعوزكم عذر، تجمعون لأبنائكم، وتمهّدون لأنفسكم، أما إنكم تجمعون العار وتورّثون النار، والسلام.

فلما قدم عليه محمد بن مسلمة صنع له عمرو طعاما كثيرا. فأبىٰ محمد بن مسلمة أن يأكل منه شيئا. فقال له عمرو: أتحرّمون طعامنا؟ فقال: لو قدّمت إليّ طعام الضيف أكلته، ولكنك قدّمت إليّ طعاما هو تقدمة شر. والله لا أشرب عندك ماء. فاكتب لي كل شيء هو لك ولا تكتمه. فشاطره ماله بأجمعه، حتىٰ بقيت نعلاه، فأخذ إحداهما وترك الأخرىٰ!

قال له محمد: اسكت، والله إن عمر لخير منك، وأما أبوك وأبوه ففي النار، والله لولا الزمان الذي سبقك به لألفيت مقتعد شاة يسرك غزرها(درها)، ويسوؤك

بكؤها(قلة لبنها). فقال عمرو: هي عندك بأمانة الله. فلم يخبر بها عمر.

أرسل معاوية من الشام لوالده مالا وأدهم(قيد) وضعه الروم علىٰ أسرىٰ مسلمين فخلصه وطلب منه أن يسلمه لعمر فسلم الأدهم ومنع المال فقال عمر..اطرحوه في الأدهم حتىٰ يأتي بالمال. قال:

فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال. فأمر عمر بإطلاقه من الأدهم. قال: فلما قدم الرسول علىٰ معاوية قال له: رأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم؟ قال: نعم، وطرح فيه أباك. قال: ولم؟ قال: جاءه بالأدهم وحبس المال؛ قال: إي والله، والخطّاب لو كان لطرحه فيه!

فأخذ عمر خاتمه فبعث به إلىٰ هند، وقال للرسول: قل لها: يقول لك أبو سفيان: انظري إلىٰ الخرجين اللذين جئت بهما فأحضريهما. فما لبث عمر أن أتي بخرجين فيهما عشرة آلاف درهم، فطرحهما عمر في بيت المال.

فقال عمر: عاملنا وجدنا معه مالا، ما سبيله إلا بيت المال. ورفعه؛ فلما ولي عثمان قال لعتبة: هل لك في هذا المال، فإني لم أر لأخذ ابن الخطاب فيه وجها؟ قال: والله إن بنا إليه لحاجة، ولكن لا تردّ علىٰ من قبلك؛ فيردّ عليك من بعدك.

ضرب عمر رجلا بالدرّة، فنادىٰ: يا لقصيّ! فقال أبو سفيان: يا بن أخي، لو قبل اليوم تنادي قصيّا لأتتك منها الغطاريف (السادة الأشراف). فقال له عمر: اسكت لا أبالك.

يزيد بن الوليد المعروف بالناقص، وإنما قيل له الناقص لفرط كماله.

كتب إليهم أبو غسان(في عيون الأخبار أبو الهندام وهو مروان بن أبي حفصة الشاعر مولىٰ الأمويين): إلىٰ بني الأستاه من أهل مرو(في عيون الأخبار أهل المزة لما منعوا الماء عن دمشق ووجهوها للصحراء)؛ ليمسيني الماء أو لتصبّحنكم الخيل. فما أمسىٰ حتىٰ أتاه الماء. فقال: الصدق ينبيء عنك لا الوعيد(مثل للرجل يتهدد ولا

يُقْدِم).

كتب عبد الله بن طاهر إلىٰ الحسن التغلبي:.. لأوجّهن إليك رجالا لا تعرف مُرّة من جهم، ولا عديّ من رُهم.

كتاب الحجاج لقطاع الطرق:..وإني أهم أن ترد عليكم مني خيل تنسف الطارف والتالد (المال القديم والحديث)، وتدع النساء أيامىٰ، والأبناء يتامىٰ، والديار خرابا! فلما أتاهم كتابه كفّوا عن الطريق.

قالت الحكماء: من تعرّض للسلطان أرداه، ومن تطامن له تخطاه(انخفض له).

قال معاوية:..إيّاك والسلطان، فإنه يغضب غضب الصبيّ، ويأخذ أخذ الأسد.

دفع عقيبة الأسدي برقعة إلىٰ معاوية فيها:

معاوي إنّنا بشر فأسجح ** فلسنا بالجبال ولا الحديد

فدعا به معاوية فقال: ما جرّأك عليّ؟ قال: نصحتك إذا غشوك؛ وصدقتك إذ كذبوك. فقال: ما أظنك إلا صادقا، وقضىٰ حوائجه.

خطب المنصور بالناس فقال له جل:..أذكّرك اللهَ الذي ذكّرتنا به يا أمير المؤمنين. فأجابه أبو جعفر بلا فكرة ولا رويّة: سمعا وطاعة لمن ذكّر بالله، وأعوذ بالله أن أذكّر به وأنساه، فتأخذني العزة بالإثم.قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ. وأما أنت، فو الله ما الله أردت بها.

وقام رجل إلىٰ هارون الرشيد وهو يخطب بمكة، فقال: {كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ}. فأمر به فضرب مئة سوط، فكان يئنّ الليل كله ويقول:

الموت! الموت. فأخبر هارون أنه رجل صالح، فأرسل إليه فاستحلّه، فأحلّه.

قال: خاطر رجل رجلا (راهنه) أن يقوم إلىٰ معاوية إذا سجد فيضع يده علىٰ كفله، ويقول: سبحان الله يا أمير المؤمنين! ما أشبه عجيزتك بعجيزة أمّك هند! ففعل ذلك. فلما انفتل معاوية عن صلاته قال: يا بن أخي، إن أبا سفيان كان إلىٰ ذلك منها أميل؛ فخذ ما جعلوا لك. فأخذه. ثم خاطر أيضا أن يقوم إلىٰ زياد وهو في الخطبة فيقول له: أيها الأمير، من أبوك؟ ففعل. فقال له زياد: هذا يخبرك- وأشار إلىٰ صاحب الشّرطة- فقدّمه فضرب عنقه. فلما بلغ ذلك معاوية قال: ما قتله غيري، ولو أدبته علىٰ الأولىٰ ما عاد إلىٰ الثانية.

وخاطر رجل أن يقوم إلىٰ عمرو بن العاص وهو في الخطبة فيقول: أيها الأمير، (من)أمك؟ ففعل. فقال له: النابغة بنت عبد الله، أصابتها رماح العرب فبيعت فبعكاظ، فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل، فولدت فأنجبت، فإن كانوا جعلوا لك شيئا فخذه.

دخل خريم الناعم علىٰ معاوية بن أبي سفيان: فنظر معاوية إلىٰ ساقيه فقال: أيّ ساقين! لو أنهما علىٰ جارية! فقال له خريم: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين! قال: واحدة بأخرىٰ والبادئ أظلم.

(أرسل المنصور إلىٰ مالك وابن طاوس فلما حضروا مجلسه كان يجهز لإعدام أناس...قال لابن طاوس): ناولني هذه الدواة. فأمسك عنه؛ فقال: ما يمنعك أن تناولنيها؟ قال: أخشىٰ أن تكتب بها معصية لله فأكون شريكك فيها، قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاوس فضله.

سأل المنصور ابن أبي ذئب عن رأيه في عامله علىٰ المدينة فقال: يأخذ بالإحنة(الحقد)ويقضي بالهوىٰ...قال: ما تقول فيّ؟ قال: أعفني.قال: لا بدّ أن تقول. قال: لا تعدل في الرعية، ولا تقسم بالسويّة. قال: فتغير وجه أبي جعفر. فقال إبراهيم بن يحي بن محمد بن علي صاحب الموصل: طهّرني بدمه يا أمير المؤمنين. قال: اقعد يا بنيّ، فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طهور.

قال: ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام فقال: يا أمير المؤمنين، دعنا مما نحن فيه؛ بلغني أنّ لك ابنا صالحا بالعراق، يعني المهدي قال: أما إنك قلت ذلك، إنه الصّوام القوّام البعيد ما بين الطرفين(كناية عن شرف النسب).

سأل المأمون الحارث بن مسكين عن مسألة، ولم يعجبه رأيه، فقال: لقد تيّست فيها وتيّس مالك. قال الحارث بن مسكين: فالسامع يا أمير المؤمنين من التّيسين أتيس.(متيّس).

قال المنصور للثوري عظني فقال: وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت؟ فما وجد له المنصور جوابا.

أبو النضر سالم مولىٰ عمر بن عبد الله سأله أحد الولاة فقال: تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها، ولا نجد بداّ من إنفاذها، فما ترىٰ؟ قال له أبو النضر؛ قد أتاك كتاب من الله تعالىٰ قبل كتاب الخليفة؛ فأيّهما اتبعت كنت من أهله.

سأل زياد الحكم بن عمرو الغفاري وكان علىٰ الصائفة(غزاة الصيف): إن أمير المؤمنين معاوية كتب إليّ يأمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء، فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة، واقسم ما سوىٰ ذلك. فكتب إليه: «إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين. والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقا علىٰ عبد فاتقىٰ الله لجعل له منها مخرجا»

قال ابن هبيرة للحسن والشعبي: ما ترىٰ أبا سعيد في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها، فإن أنفذنها وافقت سخط الله، وإن لم أنفذها خشيت علىٰ دمي؟ فقال له الحسن: هذا عندك، الشعبيّ فقيه الحجاز. فسأله فرقّق له الشعبيّ وقال له: قارب وسدّد، فإنما أنت عبد مأمور، ثم التفت ابن هبيرة إلىٰ الحسن وقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ فقال الحسن: يا ابن هبيرة، خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله. يا بن هبيرة، إن الله مانعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله.

وقال الأحنف لمعاوية: إن صدقناك أسخطناك، وإن كذبناك أسخطنا الله.

قال رجل لهشام: احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك... لا تعدنّ عدة لا تثق من نفسك بإنجازها. قال: هذه واحدة فهات الثانية. قال لا يغرّنك المرتقىٰ وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا. قال: هات الثالثة. قال: واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب. قال: هات الرابعة. قال: واعلم أن الأمور بغتات فكن علىٰ حذر.

قال رجل كوفي لمعاوية: نطيع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم! فالتفت إلىٰ المغيرة فقال له: هذا رجل فاستوص به خيرا.

قال ابن مروان للحارث بن ربيعة ما كان يقول الكذاب..يقصد ابن الزبير..فقال: ما كان كذابا فقال له يحيىٰ بن الحكم: من أمّك يا حار؟ قال: هي التي تعلم. قال له عبد الملك: اسكت فهي أنجب من أمّك.

قال الزهري للوليد بن عبد الملك...أنبيّ خليفة أكرم علىٰ الله أم خليفة غير نبي؟ قال بل نبيّ خليفة. قال: فإن الله يقول لنبيه داود:

{يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ}. فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبيّ خليفة؛ فما ظنك بخليفة غير نبيّ؟ قال: إن الناس ليغروننا عن ديننا.

وسئل بعض الحكماء: أيّ الأمور أشدّ تأييدا للفتىٰ وأيها أشد إضرارا به؟ فقال: أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبّت. وأشدها إضرارا به ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة.

قال حكيم..الناصح الشفيق الذي يخلط حلو كلامه بمرّه، وسهله بوعره، ويحرّك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره، وقد وعيت النصح وقبلته؛ إذ كان مصدره من عند من لا يشكّ في مودّته.

للراسبي في الرأي الفطير: وكان عبد الله بن وهب الراسبيّ يقول: إياكم والرأي الفطير. وكان يستعيذ بالله من الرأي الدّبريّ الخمير.

لعلي في رأي الشيخ: وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: رأي الشيخ أحسن من مشهد الغلام.

عامر بن الظرب: دعوا الرأي يغبّ حتىٰ يختمر.

وكان المهلّب يقول: إن من البليّة أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره.

قيل لعبسي ما أكثر صوابكم!. قال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، فنحن نشاوره، فكأنّنا ألف حازم.

قال ابن عبد الأعلىٰ بعد جفوة الخليفة له..اتّهمنا القومُ في سريرتنا، ولم يقبلوا منا علانيتنا، ومن ورائهم وورائنا حكم عدل.

قول سبيع لأهل اليمامة...أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأنّي أسمع جرسه وأبصر غيبه، ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة. وإنّي لمّا رأيتكم تتهمون النّصيح وتسفّهون الحليم، استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء. والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم علىٰ غرّة، ولقد أمهلكم حتىٰ ملّ الواعظ ووهن الموعوظ، وكنتم كأنما يعنىٰ بما أنتم فيه غيركم، فأصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق، ومن نصيحتي الندامة؛ وأصبح في يدي من هلاككم البكاء، ومن ذلّكم الجزع. وأصبح ما فات غير مردود، وما بقي غير مأمون.

يقال: لا تستشر معلما ولا حائكا ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء.

وينشد في الرأي بعد فوته:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته ** حتىٰ إذا فات أمر عاتب القدرا

قالت الحكماء: صدرك أوسع لسرك من صدر غيرك.

وقالوا: سرّك من دمك. يعنون أنه ربما كان في إفشائه سفك دمك

سرك من دمك فانظر أين تريقه.

قالت الحكماء: ما كنت كاتمه من عدوّك فلا تطلع عليه صديقك.

قال الشاعر:

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه ** فصدر الذي يستودع السرّ أضيق

وقيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما قلبي له إلا قبر.

وقال المأمون: الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء: القدح في الملوك، وإفشاء السر، والتعرّض للحرم.

قول عتبة لابنه الوليد..إنه من كتم سره كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه.

ملك استشار وزيريه فقال أحدهما: لا ينبغي للملك أن يستشير منّا أحدا إلا خاليا به؛ فإنه أمْوت للسر، وأحزم للرأي، وأجدر بالسلامة، وأعفىٰ لبعضنا من غائلة بعض؛ فإن إفشاء السرّ إلىٰ رجل واحد أوثق من إفشائه إلىٰ اثنين، وإفشاءه إلىٰ ثلاثة كإفشائه إلىٰ جماعة؛ لأن الواحد رهن بما أفشي إليه، والثاني مطلق عنه ذلك الرهن. والثالث علاوة فيه. فإذا كان السر عند واحد كان أحرىٰ أن لا يظهره رغبة ورهبة، وإن كان عند اثنين دخلت علىٰ الملك الشبهة، واتسعت علىٰ الرجلين المعاريض. فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد، وإن اتهمهما اتهم بريئا بخيانة مجرم.

قال أبو محجن:

قد أطعن الطّعنة النّجلاء عن عُرُض ** وأكتم السّرّ فيه ضربة العنق

قال سعيد بن عتبة..لأن أدعىٰ من بعيد خير من أن أقصىٰ من قريب.

وإنّ مسيري في البلاد ومنزلي ** هو المنزل الأقصىٰ إذا لم أقرّب

وقال آخر: رأيت أناسا يسرعون تبادرا ** إذا فتح البواب بابك إصبعا

أذن معاوية للأحنف قبل ابن الأشعث فمشىٰ سريعا حتىٰ سبقه..فقال معاوية: والله إني ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله، وإنا كما نلي أموركم نلي آدابكم ، ولا يزيد متزيّد في خطوه إلا لنقص يجده من نفسه.

قال الرقاشي:

قدّمت قبلي رجالا ما يكون لهم ** في الحقّ أن يلجوا الأبواب قدّامىٰ

قال معاوية..إنّ المعرفة لتنفع في الكلب العقور والجمل الصّؤول والسبع الهصور.

قالت الحكماء: لا يواظب أحد علىٰ باب السلطان، فيلقي عن نفسه الأنفة ويحتمل الأذىٰ ويكظم الغيظ، إلا وصل إلىٰ حاجته.

قيل لروح بن حاتم وهو علىٰ باب المنصور: لقد طال وقوفك في الشمس. فقال: ذلك ليطول جلوسي في الظل.

في كتاب الهند: السلطان.. يقرّب البعيد لنفعه، ويبعد القريب لضرّه، وشبّهوا ذلك بالجرذ الذي هو في البيت مجاور، فمن أجل ضرّه نفي، والبازي الذي هو وحشيّ، فمن أجل نفعه اقتني.

قول زياد لحاجبه..لا تحجب المنادي وطارق الليل وصاحب الثغر وصاحب الطعام، فإن الطعام إذا أعيد تسخينه فسد.

قيل لأبي سفيان وهو علىٰ باب عثمان: يا أبا سفيان ما كنت أرىٰ أن تقف بباب مضريّ فيحجبك، فقال أبو سفيان: لا عدمت من قومي من أقف ببابه فيحجبني.

استأذن أبو الدرداء علىٰ معاوية فحجبه فقال: من يغش أبواب الملوك يقم ويقعد، ومن يجد بابا مغلقا يجد إلىٰ جانبه بابا مفتوحا.

قال محمود الوراق:

شاد الملوك قصورهم فتحصّنوا ** من كلّ طالب حاجة أو راغب

غالوا بأبواب الحديد لعزّها ** وتنوّقوا في قبح وجه الحاجب

مكث أبو هفان علىٰ باب سعيد بن مسلم أياما حتىٰ أذن له فلما دخل رآه بين السماطين(الطعام) فقال: والله إني لأعرف أقواما لو علموا أن سفّ التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مسكة لأرماقهم إيثارا للتنزه عن عيش رقيق الحواشي. أما والله إني لبعيد الوثبة، بطيء العطفة. إنه والله لا يثنيني عنك إلا ما يصرفك عني، ولأن أكون مقلا مقرّبا أحبّ إليّ من أن أكون مكثرا مبعدا؛ والله ما نسأل عملا لا نضبطه، ولا مالا إلا ونحن أكثر منه؛ وهذا الأمر الذي قد صار إليك وفي يديك قد كان في يدي غيرك، فأمسوا والله حديثا، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. فتحبب إلىٰ عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب، فإن حبّ عباد الله موصول بحب الله، وبغضهم موصول ببغضه، لأنهم شهداء الله علىٰ خلقه، ورقباؤه علىٰ من اعوجّ عن سبيله.

قال أبو مسهر لما حجبه ابن عبد:

وقد علمت بأني لم أردّ ولا ** والله ما ردّ إلا العلم والأدب

فأجابه ابن عبد:

لو كنت كافأت بالحسنىٰ لقلت كما ** قال ابن أوس وفيما قاله أدب

«ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا ** إنّ السماء ترجّي حين تحتجب

حجب المنصور رجلا من خاصته فكتب له:

علىٰ أي باب أطلب الإذن بعد ما ** حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه

قيل لأبي العتاهية ارجع في يوم آخر فقال:

لئن عدت بعد اليوم إنّي لظالم ** سأصرف وجهي حيث تبغي المكارم

وكتب رجل لأبي دلف وهو علىٰ بابه:

إذا كان الكريم له حجاب ** فما فضل الكريم علىٰ اللئيم؟

فأجابه:

إذا كان الكريم قليل مال ** ولم يعذر تعلّل بالحجاب

وأبواب الملوك محجّبات ** فلا تستعظمن حجّاب بابي

قال الطائي:

إذا لم نجد للإذن عندك موضعا ** وجدنا إلىٰ ترك المجيء سبيلا

قال ابن عبد ربه:

إذا كنت تأتي المرء تعظم حقّه ** ويجهل منك الحقّ فالهجر أوسع

قال مستشار عبد الملك بن مروان: ليس بحيّ من أوقف نفسه موقفا لا يوثق له بعهد ولا بعقد.

قال ابن هبيرة للمنصور:..إن دولتكم هذه جديدة، فأذيقوا الناس حلاوتها وجنّبوهم مرارتها، لتسرع محبتكم إلىٰ قلوبهم ويعذب ذكركم علىٰ ألسنتهم.

قال المنصور لسلم بن قتيبة: ما ترىٰ في قتل أبي مسلم؟ قال: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.

وقال المغيرة بن شعبة: أحب الإمارة لثلاث وأهجرها لثلاث: أحبها لرفع الأولياء، ووضع الأعداء واسترخاص الأشياء. وأكرهها لروعة البريد، وموت العزل ، وشماتة العدوّ.

رد ابن شبرمة علىٰ ولده لما ابتلي بالقضاء..إنهم يجدون خلفا من أبيك، وإن

أباك لا يجد خلفا منهم، إن أباك حط في أهوائهم، وأكل من حلوائهم.

قيل لعبد الله بن الحسن: إنّ فلانا غيّرته الولاية. قال: من ولي ولاية يراها أكبر منه تغيّر لها، ومن ولي ولاية يرىٰ نفسه أكبر منها لم يتغيّر لها.

لما عزل عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة عن كتابة أبي موسىٰ، قال له: أعن عجز أم خيانة يا أمير المؤمنين؟ قال: لا عن واحدة منهما، ولكني أكره أن أحمل فضل عقلك علىٰ العامة.

(دعاء ابن عمر) قال زياد..أخذت العراق بيميني وبقيت شمالي فارغة يعرض بالحجاز فقال ابن عمر: اللهم اكفنا شمال زياد، فخرجت في شماله قرحة فقتلته.

ولقي عمر بن الخطاب أبا هريرة، فقال له: ألا تعمل؟ قال: لا أريد العمل.

قال: قد طلب العمل من هو خير منك يوسف عليه الصلاة والسلام، قال: {اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}.

قول القسري لرجل يطلب ولاية..إنه ليعد من نفسه كفاية. (لا كفاءة).

قال له عمر: من طلب هذا الأمر لم يعن عليه.

حديث: " يا عم، نفس تحييها، خير من ولاية لا تحصيها ".(مرسل).

قال زياد لأصحابه من أغبط الناس عيشا؟ قالوا الأمير وأصحابه. قال: كلا. إنّ لأعواد المنبر لهيبة، ولقرع لجام البريد لفزعة؛ ولكن أغبط الناس عيشا رجل له دار يجري عليه كراؤها ، وزوجة قد وافقته في كفاف من عيشه، لا يعرفنا ولا نعرفه؛ فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه آخرته ودنياه.

كتب عمر لمعاوية في واجب القضاء..وإدناء الضعيف حتىٰ يشتدّ قلبه وينبسط لسانه؛ وتعاهد الغريب، فإنك إن لم تتعاهده سقط حقّه ورجع إلىٰ أهله؛ وإنما ضيّع

حقّه، من لم يرفق به.

وقالوا..ربّ عجلة تهب ريثا..ولن يتلف مال أفاد موعظة..لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.

كتب عمر لأبي موسىٰ..حتىٰ لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك...إن الحق قديم والرجوع إليه خير من التمادي علىٰ الباطل..إنه من تخلص نيته فيما بينه وبين الله ولو علىٰ نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس، من تزيّن للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره.

وكتب له..إنّ للناس نفرة عن سلطانهم؛ فاحذر أن تدركني وإيّاك عمياء مجهولة، وضغائن محمولة، وأهواء متّبعة، ودنيا مؤثرة، أقم الحدود واجلس للمظالم..وأخف الفسّاق واجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا (تفريق بينهم)...إذا كانت بين القبائل نائرة (عداوة) فنادوا يا لفلان! فإنما تلك نجوىٰ من الشيطان، فاضربهم بالسيف حتىٰ يفيئوا إلىٰ أمر الله وتكون دعواتهم إلىٰ الله والإسلام واستدم النعمة بالشكر، والطاعة بالتألّف، والمقدرة بالعفو...والله ما علمت أن ضبة ساق الله بها خيرا قط ولا صرف بها شرّا...فأنهكهم عقوبة حتىٰ يفرقوا إن لم يفقهوا...وعد مرضىٰ المسلمين، واشهد جنائزهم، وباشر أمورهم، وافتح بابك لهم؛ فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا، وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشت لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فإياك أن تكون كالبهيمة همّها في السّمن والسّمن حتفها..وأشقىٰ الناس من يشقىٰ به الناس.

جاءت امرأة تبكي وتشكو زوجها لشريح قال الشعبي..ما أراها إلا مظلومة قال: فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون، وهم له ظالمون.

قال رجل للحسن إنّ إياسا ردّ شهادتي. فقام معه الحسن إليه فقال: يا أبا وائلة، لم رددت شهادة هذا المسلم وقد قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم:من صلىٰ صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم: له مالنا وعليه ما علينا؟ فقال: يا أبا سعيد، إن الله

يقول: {مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ} . وهذا لا يرضىٰ.

دخل الأشعث علىٰ شريح في مجلس الحكومة فقال: مرحبا وأهلا بشيخنا وسيدنا، وأجلسه معه. فبينما هو جالس عنده إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث. فقال له شريح: قم فاجلس مجلس الخصم وكلّم صاحبك. قال بل أكلّمه من مجلسي. فقال له: لتقومنّ أو لآمرنّ من يقيمك. فقال له الأشعث: لشدّ ما ارتفعت؟ قال: فهل رأيت ذلك ضرّك؟ قال: لا. قال: فأراك تعرف نعمة الله علىٰ غيرك وتجهلها علىٰ نفسك.

دخل صاحب خراسان علىٰ إياس ليشهد لصاحب له فقال إياس: مالك وللشهادة! إنما يشهد الموالي والتجار والسّوقة. قال صدقت، وانصرف من عنده فقيل له: خدعك، إنه لا يقبل شهادتك. قال: لو علمت ذلك لعلوته بالقضيب.

قال شريح لابن أرطأة لما حكم عليه، وسأله علىٰ من قضيت؟ قال:علىٰ ابن أمك. قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك يريد إقراره علىٰ نفسه.

قال شريح في سنور صغير اختلف رجلان علىٰ ملكه: فاذهبوا بها إلىٰ أمها فأرسلوها، فإن استقرت واستمرت ودرّت فهي سنورك، وإن هي اقشعرت وازبأرّت(تهيأت للشر)فليست بسنورك. الدبىٰ: الجراد، الجلواز : الشرطي

قال رجل بعد خصومته مع امرأة جميله وحكم الشعبي لصالحها:

فتن الشّعبيّ لمّا ** رفع الطّرف إليها

فتنته بدلال ** وبخطّي حاجبيها

قال للجلواز قرّبها ** وأحضر شاهديها

فقضىٰ جورا علىٰ الخصم ** ولم يقض عليها

قال ابن عبد ربه مضىٰ قولنا في السلطان..وما علىٰ الرعية من لزوم طاعته وإدامة نصحيته، وما علىٰ السلطان من العدل في رعيته والرفق بأهل مملكته.

فرش كتاب في الحروب ومدار أمرها، وقود الجيوش وتدبيرها، وما على المدبّر لها من أعمال الخدمة، وانتهاز الفرصة، والتماس الغرّة، وإذكاء العيون، وإفشاء الطلائع، واجتناب المضايق، والتحفظ في البيات. هذا بعد معرفة أحكامها، وإحكام معرفته، وطول تجربته لها، ولمقاساة الحروب ومعاناة الجيوش، وعلمه أن لا درع كالصبر، ولا حصن كاليقين.

الحرب: رحىً، ثفالها الصبر؛ وقطبها المكر، ومدارها الاجتهاد، وثقافها الأناة ، وزمامها الحذر. ولكل شيء من هذه ثمرة: فثمرة المكر الظفر، وثمرة الصبر التأييد، وثمرة الاجتهاد التوفيق، وثمرة الأناة اليمن، وثمرة الحذر السلامة؛ ولكل مقام مقال، ولكل زمان رجال والحرب بين الناس سجال ، والرأي فيها أبلغ من القتال.

قال عمرو بن معد يكرب:

الحرب أوّل ما تكون فتيّة ** تسعىٰ بزينتها لكلّ جهول

عنترة بن شداد : أوّلها شكوىٰ، وأوسطها نجوىٰ، وآخرها بلوىٰ.

نصر بن سيّار :

أرىٰ خلل الرّماد وميض نار ** ويوشك أن يكون له ضرام

حكمة سليمان بن داود عليهما السلام: الشر حلو أوله، مرّ آخره.

قال حبيب: في ساعة لو أنّ لقمانا بها ** وهو الحيكم لكان غير حكيم

الأحنف: أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم النار والعار.

قول النابغة الجعدي: تبدو كواكبه والشمس طالعة، شدة الهول والكرب، كما تقول العامة: أريته النجوم وسط النهار. (نجوم الظهر)

قال الفرزدق: أريك نجوم الليل والشمس حيّة

وقال طرفة بن العبد: وتريك النّجم يجري بالظّهر

ابن عبدربه: وعين الشمس ترنو في قتام ** رنوّ البكر من بين السّتور

أكثم بن صيفي: أقلّوا الخلاف علىٰ أمرائكم، فلا جماعة لمن اختلف عليه.. وكثرة الصياح من الفشل..فإن أحزم الفريقين الرّكين. وربّ عجلة تعقب ريثا. وادّرعوا الّليل فإنه أخفىٰ للويل.

شبيب الحروري: الليل يكفيك الجبان ونصف الشجاع. وكان إذا أمسىٰ يقول لأصحابه: أتاكم المدد.

قالت عائشة رضي الله عنها..المنازعة في الحرب خور ، والصياح فيها فشل، وما برأيي خرجت مع هؤلاء.

قال عتبة لأصحابه يوم بدر..أما ترونهم خرسا لا يتكلّمون، يتلمّظون تلمّظ الحيات.

قال علي: من أكثر النظر في العواقب لم يشجع.

(ابن مقرن / الإشارة العسكرية)

قال النعمان بن مقرّن لأصحابه عند لقاء العدوّ: إني هازّ لكم الراية، فليصلح كلّ رجل منكم من شأنه وليشدّ علىٰ نفسه وفرسه؛ ثم إني هازّها لكم الثانية. فلينظر كل رجل منكم موقع سهمه وموضع عدوّه ومكان فرصته؛ ثم إني هازّها لكم الثالثة وحامل، فاحملوا علىٰ اسم الله.

قول عمر في ابن مقرن..لأقلّدنّ أعنّتها رجلا يكون غدا لأول أسنّة يلقاها.

قال علي رضي الله عنه: انتهزوا الفرصة فإنها تمرّ مرّ السحاب، ولا تطلبوا أثرا بعد عين.

قال بعض الحكماء: انتهز الفرصة فإنها خلسة، وثب عند رأس الأمر ولا تثب عند ذنبه؛ وإياك والعجز فإنه أذلّ مركب، والشفيع المهين فإنه أضعف وسيلة.

خرجت خارجة بخراسان علىٰ قتيبة فأهمه ذلك فقيل له وجه إليهم وكيع بن الأسود ..فقال: إن وكيعا رجل به كبر يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلت مبالاته بأعدائه فلم يحترس منهم. فيجد عدوّه غرّة منه .

قال بعض الملوك في الحزم بالحرب: مخاتلة العدو(خداعه)..وإعدادا العيون علىٰ الرّصد، وإعطاء المبلّغين علىٰ الصدق، ومعاقبة المتوصّلين بالكذب، وألّا تخرج هاربا إلىٰ قتال؛ ولا تضيّق أمانا علىٰ مستأمن، ولا تشدهنّك(تدهشنك)الغنيمة عن المحاذرة.

حكيم: تعوّد القتال، وكثرة الظّفر.

ابن عبدربه: جمع الله تبارك وتعالىٰ تدبير الحرب في آيتين من كتابه فقال تعالىٰ: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

قال عمرو لمعاوية والله ما أدري يا أمير المؤمنين أشجاع أنت أم جبان فقال معاوية:

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة ** وإن لم تكن لي فرصة فجبان

هدبة العذري:

ولا أتّمنىٰ الشرّ والشرّ تاركي ** ولكن متىٰ أحمل علىٰ الشرّ أركب

ولست بمفراح إذا الدهر سرّني ** ولا جازع من صرفه المتقلّب

قال الأحنف بن قيس: إن رأيت الشر يتركك إن تركته، فاتركه.

قالت العرب: الشجاعة وقاية والجبن مقتلة.

واعتبر..من يقتل مدبرا أكثر ممن يقتل مقبلا.

والعرب تقول: الشجاع موقّىٰ والجبان ملقّىٰ.

قالت الحكماء: استقبال الموت خير من استدباره.

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه: بقية السيف أنمىٰ عددا، وأطيب ولدا.

الفرزدق:يغشون حومات المنون وإنّها ** في الله عند نفوسهم لصغار

جواب عاصم بن الحدثان..هو شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين.

رويدا بني شيبان بعض وعيدكم ** تلاقوا غدا خيلي علىٰ سفوان

تلاقوا رجالا لا تحيد عن الوغىٰ ** إذا الخيل جالت في فنا الميدان

أبو محلم السعدي:

لعمر أبيك الخير إنّي لخادم ** لضيفي وإنّي إن ركبت لفارس

في وصف الحرب :

ابن عبدربه: ولم تنطق الأبطال إلّا بفعلها ** فألسنها عجم وأفعالها عرب

سيف عليه نجاد سيف مثله ** في حدّه للمفسدين صلاح

لئن عرف الجهاد بكلّ عام ** فإنّك طول دهرك في جهاد

إنّ صاح يوما حسبت الصّخر منحدرا ** والريح عاصفة والموج يلتطم

ابن عباس: ما استلّت السيوف، ولا زحفت الزحوف، ولا أقيمت الصفوف، حتىٰ أسلم ابنا قيلة: يعني الأوس والخزرج.

عامر بن مالك: يضعّفني حلمي وكثرة جهلكم ** عليّ وأنّي لا أصول بجاهل

أبو سعيد المخزومي وكان شجاعا:

وما يريد بنو الأغبار من رجل ** بالجمر مكتحل بالنبل مشتمل

لا يشرب الماء إلّا من قليب دم ** ولا يبيت له جار علىٰ وجل

وقال عبد الله بن الزبير المذكور: لقيت الأشتر النخعي يوم الجمعة فما ضربته ضربة إلا ضربني ستًا أو سبعًا ثم أخذ رجلي وألقاني في الخندق وقال: والله لولا قرابتك من رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم ما اجتمع منك عضو إلىٰ آخر.

عمرو بن معديكرب:

أعاذل إنما أفنىٰ شبابي ** إجابتي الصّريخ إلىٰ المنادي

مع الأبطال حتىٰ سلّ جسمي ** وأقرح عاتقي حمل النّجاد

ويبقىٰ بعد حلم القوم حلمي ** ويفنىٰ قبل زاد القوم زاديّ

وقال المهلّب لبنيه: عليكم بالمكيدة في الحرب فإنها أبلغ من النجدة.

كتب الحجاج للمهلب يستعجله في حرب الأزارقة فرد عليه: إن من البلية أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره.

أهل التمرس يقول لأصحابه: شاوروا في حربكم الشجعان من أولي العزم، والجبناء من أولىٰ الحزم

مالك الخثعمي: إني دارب بالغداة إن شاء الله تعالىٰ درب كذا. فتتفرق الجواسيس عنه بذلك؛ فإذا أصبح الناس سلك بهم طريقا أخرىٰ. فكانت تسميه الروم: الثعلب.

وكان زياد يقول لقواده: تجنّبوا اثنين لا تقاتلوا فيهما العدو: الشتاء، وبطون الأودية.

رد عباد علىٰ الوليد: وليس كل عورة تصاب.

كان قتيبة بن مسلم يقول لأصحابه: إذا غزوتم، فأطيلوا الأظفار، وقصّروا الشعور، والحظوا الناس شزرا ، وكلّموهم رمزا، واطعنوهم وخزا.

نخوة العرب..حتىٰ كان فيهم من يحمي الجراد إذا نزل في جواره، فسمّي مجير الجراد.

وقال الأحنف: أسرع الناس إلىٰ الفتنة، أقلهم حياء من الفرار.

حبيب: كم بين قوم إنّما نفقاتهم ** مال وقوم ينفقون نفوسا

قول ابن الأشعث في الأزارقة..وهم أهون عليّ من ضرطة الجمل فبيّته قطريّ صاحب الأزارقة فقتل من أصحابه خمسمئة، وفرّ لا يلوي علىٰ أحد. فقال فيه الشاعر:

تركت ولداننا تدمىٰ نحورهم ** وجئت منهزما يا ضرطة الجمل

أحد فرسان الخوارج يريد المبارزة..وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم، فقال مروان: من يخرج إليه وله عشرة آلاف؟

قال: فلما سمعت عشرة آلاف هانت عليّ الدنيا وسخوت بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرزت إليه. فإذا عليه فرو قد بلّه المطر فارمعلّ(ابتل) ، وله عينان تتقدان كأنّهما جمرتان؛ فلما رآني فهم الذي أخرجني، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول:

وخارج أخرجه حبّ الطّمع ... فرّ من الموت وفي الموت وقع

من كان ينوي أهله فلا رجع

فلما رأيته قنّعت رأسي ووليت هاربا ومروان يقول: من هذا الفاضح؟ لا يفوتكم! فدخلت في غمار الناس

الفرزدق: فضحتم أمير المؤمنين وأنتم ** تمرّون سودانا غلاظ السّواعد

وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن معديكرب: كيف معرفتك بعراب الخيل؟ قال: معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده.

البحتري: وإلىٰ سراة بني حميد إنهم ** أمسوا كواكب أشرقت في مذحج

لفتة فقهية في الرهان :

وأصل الرهان من الرهن، لأن الرجل يراهن صاحبه في المسابقة، يضع هذا رهنا وهذا رهنا، فأيهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه. والرهان، مصدر راهنته مراهنة ورهانا، كما تقول: قاتلته مقاتلة وقتالا. وهذا كان من أمر الجاهلية، وهو القمار المنهيّ عنه. فإن كان الرهن من أحد هما بشيء مسمّىٰ علىٰ أنه إن سبق لم يكن له شيء، وإن سبقه صاحبه أخذ الرهن، فهذا حلال؛ لأن الرهن إنما هو من أحدهما دون الآخر؛ وكذلك إن جعل كل واحد منهما رهنا وأدخلا بينهما محلّلا، وهو فرس ثالث يكون مع الأولين، ويسمىٰ أيضا الدّخيل ولا يجعل لصاحب الثالث شيء، ثم يرسلون الأفراس الثلاثة، فإن سبق أحد الأوّلين أخذ رهنه ورهن صاحبه فكان له طيبا، وإن سبق الدخيل أخذ الرهنين جميعا، وإن سبق هو لم يكن عليه شيء. ولا يكون الدخيل إلا رائعا جوادا، لا يأمنان أن يسبقهما؛ وإلا فهذا قمار، لأنهما كأنهما لم يدخلا بينهما محلّلا.

قال الأصمعي: السابق من الخيل: الأول، والمصلّي: الثاني الذي يتلوه. قال: وإنما قيل له مصلّ، لأنه يكون عند صلوي السابق، وهما جانبا ذنبه عن يمينه وشماله؛ ثم الثالث والرابع لا اسم لواحد منهما إلىٰ العاشر، فإنه يسمّىٰ سكيتا.

قال أبو عبيدة: لم نسمع في سوابق الخيل ممن يوثق بعلمه اسما لشيء منها إلا الثاني والعاشر؛ فإن الثاني اسمه المصلّي، والعاشر السّكيت؛ وما سوىٰ ذينك يقال له

الثالث والرابع، وكذلك إلىٰ التاسع، ثم السّكيت ويقال السّكّيت، بالتشديد والتخفيف، فما جاء بعد ذلك لم يعتدّ به. والفسكل- بالكسر- الذي يجيء آخر الخيل، والعامة تسميه الفسكل- بالضم.

جرير: إذا شئتم أن تمسحوا وجه سابق ❊❊ جواد، فمدّوا في الرّهان عنانيا

زيد بن حاتم: إني لست أشتري أدراعا وإنما أشتري أعمارا.

ابن المهلب لبنيه: لا يقعدنّ أحدكم في السوق، فإن كنتم لا بدّ فاعلين، فإلىٰ زراد، أو سرّاج، أو ورّاق.

عمرو بن معديكرب..إنما بعثت إلىٰ أمير المؤمنين بالسيف، ولم أبعث بالساعد الذي يضرب به.

قيل فيه: سيف عمرو وكان فيما سمعنا ❊❊ خير ما أغمدت عليه الجفون

ذكر أعرابيّ قوما تحاربوا فقال: أقبلت الفحول، تمشي مشي الوعول، فلما تصافحوا بالسيوف، فغرت المنايا أفواهها.

قصة بين لص ورام عفىٰ عنه فقال..فلا والله ما رأيت أعرابيا قط أشدّ ضرسا، ولا أعدىٰ رجلا، ولا أرمىٰ يدا، ولا أكرم عفوا، ولا أسخىٰ نفسا منك.

عمر: وعليكم بالمعدّيّة- أو قال: بالعربية- ودعوا التنعّم وزيّ العجم.

وقال الشاعر:

بلاء ليس يشبهه بلاء ❊❊ عداوة غير ذي حسب ودين

يبيحك منه عرضا لم يصنه ❊❊ ويرتع منك في عرض مصون

قال الفضل بن العباس للمهدي..لكن اغزهم بالحيلة، وقاتلهم بالمكيدة،

وصارعهم باللين، وخاتلهم بالرفق...كما أن الوالي الذي يستنزل طاعة رعيّته بالحيل، ويفرّق كلمة عدوه بالمكايدة، أحكم عملا وألطف نظرا وأحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال، والإتلاف للأموال، والتغرير والخطار.

قال المهدي: هذا رأي قد أسفر نوره، وبرق ضوؤه، وتمثل صوابه للعيون، وتجسد حقه في القلوب، ولكن فوق كلّ ذي علم عليم.

قال علي: أيها المهدي، إن أهل خراسان لم يخلعوا من طاعتك يدا، ولم ينصبوا من دونك أحدا يكدح في تغيير ملكك، ويربّض الأمور لفساد دولتك؛ ولو فعلوا لكان الخطب أيسر، والشأن أصغر، والحال أدل؛ لأن الله مع حقه الذي لا يخذله، وعند موعده الذي لا يخلفه، ولكنهم قوم من رعيتك، وطائفة من شيعتك، الذين جعلك الله عليهم واليا، وجعل العدل بينك وبينهم حاكما، طلبوا حقا، وسألوا إنصافا؛ فإن أجبت إلىٰ دعوتهم، ونفست عنهم قبل أن تتلاحم منهم حال، أو يحدث من عندهم فتق، أطعت أمر الرب، وأطفأت نائرة الحرب ، ووفّرت خزائن المال، وطرحت تغرير القتال..وأنه لا يتعاظمه عفو، ولا يتكاءده صفح (يشق عليه)..فإنهم إخوان دولته، وأركان دعوته، وأساس حقه، الذين بعزتهم يصول، وبحجتهم يقول...رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير، والأمور بالتطويل..وإنما يهيج جسيمات الأمور صغارها...وإذا أضمر الوالي لمن فارق طاعته وخالف جماعته، الخوف مفردا والشرّ مجردا، ليس معهما طمع يكسرهم، ولا لين يثنيهم، امتدت الأمور بهم، وانقطعت الحال منهم إلىٰ أحد أمرين: إما أن تدخلهم الحميّة من الشدة، والأنفة من الذلّة، والامتعاض من القهر، فيدعوهم ذلك إلىٰ التمادي في الخلاف، والاستبسال في القتال، والاستسلام للموت؛ وإما أن ينقادوا بالكره، ويذعنوا بالقهر، علىٰ بغضة لازمة، وعداوة باقية، تورث النفاق، وتعقب الشقاق،...إن الحرب خدعة، والأعاجم قوم مكرة..تسبق سيولهم مطرّهم، وسيوفهم عذلهم، لأنهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم، وبين رؤساء لا يلجمون إلا بشدّة ولا يفطمون إلا بالقهر..قد اتضعت الدنيا عن قدره، وسما نحو الآخرة بهمّته، فجعل الغرض الأقصىٰ لعينه نصبا، والغرض الأدنىٰ لقدمه موطئا، فليس يغفل عملا، ولا يتعدّىٰ أملا..وإنما أحداثكم

أهل البيت فيما طبعكم الله عليه واختصّكم به من مكارم الأخلاق، ومحامد الفعال، ومحاسن الأمور، وصواب التدبير، وصرامة الأنفس، كفراخ عتاق الطير المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب؛ فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم، مزروع في قلوبكم، مستحكم لكم، متكامل عندكم، بطبائع لازمة، وغرائز ثابتة...ألّا يدع أحدا من إخوان الفتن، ودواعي البدع، وفرسان الضلال، إلا توطّأه بحرّ القتل، وألبسه قناع القهر، وطوّقه طوق الذّل..منع حجّاجهم بيت الله الحرام، وسلب تجارهم رزق الله الحلال...فلا تبقىٰ فيهم ناحية دانية، ولا فرقة قاصية، إلا دخلت عليها بركته، ووصلت إليها منفعته، فأغنىٰ فقيرها، وجبر كسيرها، ورفع وضيعها، وزاد رفيعها..يقتل أعلامهم، ويأسر قوّادهم، ويطلب هرّابهم في لجج البحار، وقلل الجبال، وخمر الأودية، وبطون الأرض، تقتيلا وتغليلا وتنكيلا؛..اعلم أن لله تعالىٰ في كل زمان عترة من رسله، وبقايا من صفوة خلقه، وخبايا لنصرة حقه، يجدّد حبل الإسلام بدعواهم ويشيد أركان الدين بنصرتهم، ويتخذهم لأولياء دينه أنصارا، وعلىٰ إقامة عدله أعوانا ، يسدّون الخلل، ويقيمون الميل، ويدفعون عن الأرض الفساد؛..قد مضت لهم وقائع صادقات؛ ومواطن صالحات، أخمدت نيران الفتن، وقصمت دواعي البدع، وأذلّت رقاب الجبّارين، ولم ينفكّوا كذلك ما جروا مع ريح دولتنا، وأقاموا في ظلّ دعوتنا، واعتصموا بحبل طاعتنا التي أعزّ الله بها ذلّتهم، ورفع بها ضعتهم، وجعلهم بها أربابا في أقطار الأرضين، وملوكا علىٰ رقاب العالمين، بعد لباس الذّل، وقناع الخوف، وإطباق البلاء، ومحالفة الأسىٰ، وجهد البأس والضر..ولا ينفكنّ في ظل كرامتك نازلا، وبعرا حبلك متعلّقا، رجلان: أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحلم راجح، ودين صحيح. والآخر له دين غير مغموز، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء الأدب، ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب، وتصاريف الخطوب،..أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدي إلىٰ الصواب قلبك، وهاديا ينطق بالخير لسانك.

قالو: ازفن للقرد في دولته.

كتاب الهند..كما أن الشجرة المرّة لو طليتها بالعسل لم تثمر إلا مرّا.

زهير: وما يك في صديق أو عدوّ ** تخبّرك العيون عن القلوب

حوثرة الأقطع الخارجي..يا أبت، أنا والله إلىٰ طعنة نافذة أتقلّب فيها علىٰ كعوب الرمح أشوق مني إلىٰ ابني. فرجع إلىٰ معاوية فأخبره، فقال: يا أبا حوثرة، جار هذا جدا. فلما نظر حوثرة إلىٰ أهل الكوفة قال: يا أعداء الله! أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدّوا سلطانه. واليوم تقاتلون معه لتشدّوا سلطانه؟ ثم جعل يشدّ عليهم ويقول:

احمل علىٰ هذي الجموع حوثرة ** فعن قريب ستنال المغفرة

فحمل عليه رجل من طيء فقتله، فرأي أثر السجود قد لوّح جبهته، فندم علىٰ قتله .

خبر مقتل مرداس أبي بلال وأصحابه بين راكع وساجد :

أريد أهرب بديني ودين أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة.

قد نصب لواء لجارية يقال لها ياسمين(الاسم قديم)

لا عفا الله عنه، فلقد ركباها عشواء مظلمة(اعتراض الناس وتخبطهم)

يا بني عليّ، البقيا(عدم الفناء).

أنه أتي بامرأة منهم، فقتلها ثم عرّاها، فلم تخرج النساء إلا بعد زياد، وكنّ إذا أرغمن علىٰ الخروج قلن: لولا التّعرية لسارعنا(لا أخلاق).

أو أن يعلمك المهلب غزوه **. وترىٰ جبال قد دنت لجبال

(الأزارقة)

وتفرقت مقالة الخوارج علىٰ أربعة أضرب: فقال نافع بن الأزرق: باستعراض الناس والبراءة من عثمان وعليّ وطلحة والزبير، واستحلال الأمانة وقتل الأطفال.

قال عبد الله بن إباض: لا نقول فيمن خالفنا إنه مشرك، لأن معهم التوحيد والإقرار بالكتاب والرسول، وإنما هم كفّار للنّعم،

سمّوا صفرية لاصفرار وجوههم، وقيل: لأنهم أصحاب ابن الصّفّار.

ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالىٰ، تسمّىٰ بها، فهو الكريم عز وجل. ومن كان كريما من خلقه، فقد تسمّىٰ باسمه، واحتذىٰ علىٰ صفته.

قال المأمون للمهلبي..أنت متلاف ! قال: منع الجود سوء ظّن بالمعبود.

أثر " وأي داء أدوأ من البخل" .

وقال الله تعالىٰ: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

وقال أكثم بن صيفيّ حكيم العرب: ذلّلوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلىٰ المحامد، وعلّموها المكارم، ولا تقيموا علىٰ خلق تذمّونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلّوا بالجود يكسبكم المحبة، ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر.

وكتب رجل من البخلاء إلىٰ رجل من الأسخياء يأمره بالإبقاء علىٰ نفسه ويخوّفه الفقر. فردّ عليه: الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا. وإني أكره أن أترك أمرا قد وقع، لأمر لعله لا يقع.

أنشد محمد بن يزيد موسىٰ الهادي

وإن أنتم أعوزتم فتعفّفوا ** وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا

فأمر له بعشرين ألفا.

وقال عبد الله بن عباس: سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء.

للمعروف خصال ثلاث: تعجيله وتيسيره وستره.

سأل إبراهيم السندي رجلا أتعب نفسه في صنع المعروف عما يخفف عنه فقال..سمعت تغريد الطير بالأسحار، في فروع الأشجار، وسمعت خفق أوتار العيدان، وترجيع أصوات القيان، فما طربت من صوت قط، طربي من ثناء حسن بلسان حسن علىٰ رجل قد أحسن، ومن شكر حرّ لمنعم حرّ، ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر. قال إبراهيم: فقلت له: لله أبوك! لقد حشيت كرما.

جعفر بن محمد..إن الله خلق خلقا من رحمته برحمته لرحمته، وهم الذين يقضون الحوائج للناس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن.

أثر: «أفضل العطية ما كان من معسر إلىٰ معسر» . وأثر: «أفضل العطية جهد المقلّ» .

قالت الحكماء: القليل من القليل أحمد من الكثير إلىٰ الكثير.

واستجز قلّة الهديّة منّي ** إنّ جهد المقلّ غير قليل

وقالوا: جهد المقلّ أفضل من غني المكثر.

(قصة أبو هريرة مع جعفر لما أطعمه نحيـًا من السمن لم يجد غيره الجود من الموجود)

وقال: ما كلّف الله نفسا فوق طاقتها ** ولا تجود يد إلّا بما تجد

سئل حكيم: من أجود الناس؟ قال: من جاد من قلّة، وصان وجه السائل عن المذلّة.

حماد عجرد:

إنّ الكريم ليخفي عنك عسرته ** حتىٰ تراه غنياّ وهو مجهود

شاعر: ولا وجبت عليّ زكاة مال ** وهل تجب الزّكاة علىٰ الجواد

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: من كانت له إليّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب، لأصون وجوهكم عن المسألة.

أبو الأسود:

وإنّ أحقّ الناس إن كنت شاكرا ** بشكرك من أعطاك والعرض وافر

وسأل معاوية صعصعة بن صوحان: ما الجود؟ فقال: التبرّع بالمال، والعطّية قبل السؤال.

وما الجود من يعطي إذا ما سألته ** ولكنّ من يعطي بغير سؤال

حبيب:

وما أبالي وخير القول أصدقه ** حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي!

قال خالد بن صفوان: لا تطلبوا الحوائج في غير حينها، ولا تطلبوها من غير أهلها، فإنّ الحوائج تطلب بالرجاء، وتدرك بالقضاء.

إني رأيت وفي الأيام تجربة ** للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقلّ من جدّ في أمر يحاوله ** واستصحب الصّبر إلا فاز بالظّفر

قال خالد بن صفوان: فوت الحاجة خير من طلبها إلىٰ غير أهلها، وأشدّ من المصيبة سوء الخلف منها.

لا تطلب حاجتك من كذّاب؛ فإنه يقرّ بها بالقول ويبعدها بالفعل

فإن تولني عرفا أكن لك شاكرا ** وإن قلت لي عذرا أقل أنت صادق

ابن هانئ: فإن تولني منك الجميل فأهله ** وإلا فإنّي عاذر وشكور

فتىٰ وفّرت أيدي المكارم عرضه ** عليه وخلّت ماله غير وافر

سوار لابن طاهر: وكلبك آنس بالمعتفين ** من الأمّ بابنتها الزّائره

قالوا: وعد الكريم نقد، ووعد اللئيم تسويف.

قال الزّهري: حقيق علىٰ من أورق بوعد أن يثمر بفعل.

وذكر جبار بن سلمىٰ عامر بن الطّفيل فقال: كان والله إذا وعد الخير وفىٰ، وإذا وعد الشر أخلف.

ابن أبي حازم:

إذا قلت في شيء «نعم» فأتمّه ** فإنّ «نعم» دين علىٰ الحرّ واجب

وإلا فقل «لا» تسترح وترح بها ** لئلا يقول الناس إنك كاذب

قال عمر بن الحارث: كانوا يفعلون ولا يقولون، ثم صاروا يقولون ويفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون، فزعم أنهم ضنّوا بالكذب فضلا عن الصدق.

لابن الأحنف أو الصريع:

ما ضرّ من شغل الفؤاد ببخله ** لو كان علّلني بوعد كاذب

القاسم المسعودي للأمير..إنّ الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يحقّقه، كان كلفظ لا معنىٰ له، وجسم لا روح فيه.

الخولاني: إن أوقع المعروف في القلوب، وأبرده علىٰ الأكباد معروف منتظر، بوعد لا يكدّره المطل.

يحيىٰ البرمكي..من لم يبت علىٰ سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما.

الشماخ: فتىٰ ليس بالرّاضي بأدني معيشة ** ولا في بيوت الحيّ بالمتولّج

للمؤلف: كأنما صيغ من بخل ومن كذب ** فكان ذاك له روحا وذا نفسا

شاعر: وجفوتني فقطعت عنك فوائدي ** كالدّرّ يقطعه جفاء الحالب

ابن أبي حفصة:

يا أكرم الناس من عجم ومن عرب ** بعد الخليفة يا ضرغامة العرب

أفنيت مالك تعطيه وتنهبه ** يا آفة الفضة البيضاء والذهب

قال ابن صالح للرشيد: يداك يا أمير المؤمنين أطلق من لساني بالمسألة، فأعطاه وأجزل.

كتب الشعبي للحجاج بحاجة فاعتل عليه..فكتب إليه الشعبي: والله لا عذرتك وأنت والي العراقين وابن عظيم القريتين، فقضىٰ حاجته.

قال ابن زرارة الكلابي لمعاوية..يقودني إليك أمل، وتسوقني بلوىٰ.

قال رجل لحاتم..لم أذمّ يومك، ولم أيأس من غدك.

مدح أعرابي ابن المهلب شعرا فقال له..قد حكمناك؛ فإن شئت علىٰ قدرك، وإن شئت علىٰ قدري. قال: بل علىٰ قدري. فأعطاه خمسين ألفا، فقال له جلساؤه: هلا احتكمت علىٰ قدر الأمير؟ قال: لم يك في ماله ما يفي بقدره! قال له داود: أنت في هذه أشعر منك في شعرك.

الموصلي أنشد الرشيد:

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ** فليس إلىٰ ما تأمرين سبيل

فعالي فعال المكثرين تجمّلا ** ومالي كما قد تعلمين قليل

قال له الرشيد: لله درّ أبيات تأتينا بها! ما أحسن أصولها وأبين فصولها، وأقلّ فضولها! يا غلام أعطه عشرين ألفا. قال: والله لا أخذت منها درهما واحدا! قال: ولم؟ قال: لأن كلامك والله يا أمير المؤمنين خير من شعري! قال: أعطوه أربعين ألفا. قال الأصمعي: فعلمت والله أنه أصيد لدراهم الملوك مني.

جمع كساء : كساو

كتب أبو دلامة لوالي الكوفة:

له مئة عليّ ونصف أخرىٰ ** ونصف النصف في صكّ قديم

دراهم ما انتفعت بها ولكن ** وصلت بها شيوخ بني تميم

أتوني بالعشيرة يسألوني ** ولم أك في العشيرة باللئيم

قال: له: جعلت فداك. لا تفرق بينهما. فاستلفها له وصبّت في حجره حتىٰ أثقلته.(غداتئذ)

كناية أبي دلامة مع جاريته:

فبتّ ألثمها طورا وتلثمني ** طورا ونفعل بعض الشيء في اللّحف

في التبكير قالوا: بكّر بكور الغراب . (البِدَر جمع بدرة)

للمؤلف: وجه عليه من الحياء سكينة ** ومحبّة تجري من الأنفاس

وإذا أحبّ الله يوما عبده ** ألقىٰ عليه محبّة للناس

حبيب: والشّكر ما لم يستتر بصنيعة ** كالخطّ تقرؤه وليس بمعجم

وتفنّني في القول إكثار وقد ** أسرجت في كرم الفعال فألجم

كتب البطين الشاعر للأرميني:

رأيت في النّوم أنّي راكب فرسا ** ولي وصيف وفي كفي دنانير

فقال قوم لهم حذق ومعرفة ** رأيت خيرا وللأحلام تعبير

رؤياك فسّر غدا عند الأمير تجد ** تعبير ذاك وفي الفأل التّباشير

فجئت مستبشرا مستشعرا فرحا ** وعند مثلك لي بالفعل تيسير

قال: فوقّع لي في أسفل كتابي: أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ.

وأمر إبراهيم بن الأغلب المعروف بزيادة الله، بمال يقسم علىٰ الفقهاء، فكان منهم من قبل ومنهم من لم يقبل، فكان أسد بن الفرات فيمن قبل، فجعل زيادة الله يغمص (يعيب) علىٰ كل من قبل منهم، فبلغ ذلك أسد بن الفرات، فقال: لا عليه، إنما أخذنا بعض حقوقنا والله سائله عما بقىٰ.

قال عبد الله بن عباس: لو أن فرعون مصر أسدىٰ إليّ يدا صالحة لشكرته عليها.

قالوا: إن قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر.

قالت الحكماء: الكرام من اللئام كالغرّة من الفرس.

قال سليمان الأعمىٰ أخو صريع الغواني في سليامن بن علي:

لا تعجبنّ بخير زلّ عن يده ** فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا

قدم الحطيئة المدينة ووقف علىٰ باب عتيبة العجلي فسأله فلم يعطهو فلما ولىٰ أخبره جلساؤه فأعاده.. فقال لوكيله: خذ بيد هذا فامض به إلىٰ السوق، فلا يشيرن إلىٰ شيء إلا اشتريته له. فمضىٰ معه إلىٰ السوق، فعرض عليه الخزّ والقز، فلم يلتفت إلىٰ شيء منه. وأشار إلىٰ الأكسية والكرابيس الغلاظ والأقبية، فاشترىٰ له منها حاجته؛ ثم قال: أمسك.

قال: فإنه قد أمرني أن أبسط يدي بالنفقة. قال: لا حاجة لي أن يكون له علىٰ قومي يد أعظم من هذه. ثم أنشأ يقول:

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا ❊❊ فسيّان لا ذمّ عليك ولا حمد

وأنت امرؤ لا الجود منك سجيّة ❊❊ فتعطي وقد يعدي علىٰ النائل الوجد

قال سعيد بن سلم مدحني أعرابي فأبلغ ...فتأخرت عليه قليلا فهجاني فأبلغ فقال:

لكلّ أخي مدح ثواب علمته ❊❊ وليس لمدح الباهلّي ثواب

مدحت سعيدا والمديح مهزة❊❊فكان كصفوان عليه تراب

(مهزة باعث..يعني ناشفة)

المؤلف: حاشا لمثلك أن يفكّ أسيرا ❊❊ أو أن يكون من الزّمان مجيرا

ليست قوافي الشّعر فيك مدارعا ❊❊ سودا وضلّت أوجها وصدورا

هلّا عطفت برحمة لما دعت ❊❊ ويلا عليك مدائحي وثبورا

لو أنّ لؤمك عاد جودا عشره ❊❊ ما كان عندك حاتم مذكورا

ربيعة الرقي:

فهمّ الفتىٰ الأزديّ إنفاق ماله ❊❊ وهمّ الفتىٰ القيسي جمع الدّراهم

مر حاتم علىٰ عنزة، وفيهم أسير، فاستغاث به، ولم يحضره فكاكه، فاشتراه منهم وضع نفسه في القيد مكانه حتىٰ أدىٰ فداءه.

زوجة حاتم تشبة امرأة فقيرة جاءت بصبيتها..كأنها نعامة حولها رئالها (عندها حاتم نحر فرسه) ...فلا والله إن ذاق منه مزعة، وإنه لأحوج إليه منّا؛ فأصبحنا وما علىٰ الأرض من الفرس إلّا عظم وحافر. فأنشأ حاتم يقول:

مهلا نوار أقلّي اللّوم والعذلا ❊❊ ولا تقولي لشيء فات ما فعلا

ولا تقولي لمال كنت مهلكه ❊❊ مهلا وإن كنت أعطي الأنس والخبلا

يرىٰ البخيل سبيل المال واحدة ❊❊ إنّ الجواد يرىٰ في ماله سبلا

(الخبل الجن)

زهير: متىٰ تلاق علىٰ علاته هرما ** تلق السّماحة في خلق وفي خلق

المطعمون إذا ما أزمة أزمت ** والطّيّبون ثيابا كلّما عرقوا

كأنّ آخرهم في الجود أوّلهم ** إنّ الشّمائل والأخلاق تتّفق

عبيد الله بن عباس.. أول من فطّر جيرانه. وأول من وضع الموائد علىٰ الطرق، وأول من حيّا علىٰ طعامه.(الله حيهم).

قال له رجل..والله لو لم يكن لإسماعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه، فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخرين محمدا صلّىٰ الله عليه وسلّم، ثم شفع بك وبأبيك.

قال في الحسين بن علي..فو الله لهو أجود من الريح إذا عصفت، وأسخىٰ من البحر إذا زخر.

قال لحاجب معاوية..دع عنك هذا الكلام، فإنا قوم نفي بما وعدنا ولا ننقص ما أكدنا.

وقال فيه سائل..هذه هزة كريم حسيب، والله لقد نقرت حبة قلبي فأفرغتها في قلبك، فما أخطأت إلا باعتراض الشك بين جوانحي.

قال لرجل ولد له طفل وماتت الأم..بارك الله لك في الهبة، وأجزل لك الأجر علىٰ المصيبة...عد إلينا بعد أيام، فإنك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلّة. قال الأنصاري: لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا، ولكنه سبقك فصرت له تاليا، وأنا أشهد أنّ عفوك أكثر من مجهوده، وطلّ كرمك أكثر من وابله.

جود ابن جعفر لما اشترىٰ لابن أبي عمار جارية تعلق بها ولم يقدر علىٰ ثمنها...ما فعل حبّ فلانة؟ قال: في اللحم والدم والمخ والعصب. قال: أتعرفها لو رأيتها؟ قال: لو أدخلت الجنة لم أنكرها...إنها لا تعرفك وكان يرضيها اليسير. قال: إن كان يرضيها اليسير فإني لا أرضىٰ إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

لما مرض سعيد بن العاص عاده معاوية فقام له فقال..أقسمت عليك أبا عثمان ألا تتحرّك، فقد ضعفت بالعلة. (القيام للترحيب).

وقال لمعاوية..إنه من قوم لا يأكلون إلا ما حصدوا، ولا يحصدون إلا ما زرعوا.

وقال..أسوؤه حاضرا وأسرّه غائبا...غناؤك عني أبطأني عنك، وكنت قريبا لو دعوت لأجبناك، ولو أمرت لأطعناك....اشتر بها ضيعة تعينك علىٰ مروأتك. فقال سعيد: بل أشترىٰ بها حمدا وذكرا باقيا. أطعم بها الجائع، وأزوج بها الأيّم، وأفكّ بها العاني ، وأواسي بها الصديق، ما وأصلح بها حال الجار.

قال معاوية: ما فضيلة بعد الإيمان بالله هي أرفع في الذكر ولا أنبه في الشرف من الجود...وبقي في مجلسه رجل..فذكر أنّ عليه دينا أربعة آلاف درهم.

فأمر له بها، وكان إطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه.

قال رجل لعبيد الله بن أبي بكرة..وما رأيت الدنيا في يد أحد أحسن منها في يدك.

عبيد الله بن معمر:

أبوح بحزن من فراقك موجع ** أقاسي به ليلا يطيل تفكّري

العتبي قال: أخبرني رجل من أهل منبج، قال: قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مملق فأغنانا! قال له: كيف أغناكم وهو مملق؟ قال: علّمنا المكارم، فعاد غنيّنا علىٰ فقيرنا.

قيل في معن بن زائدة..حدّث عن البحر ولا حرج، وحدّث عن معن ولا حرج. سأله رجل..فأعطاه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية وقال: لو عرفت مركوبا غير هؤلاء لأعطيتك.

قيل فيه: له راحتان الحتف والجود فيهما ** أبىٰ الله إلّا أن يضرّ وينفعا

قيل في ابن المهلب..والله إن كانت السفن لتجري في جوده.

قيل ليزيد بن المهّلب: مالك لا تبني دارا؟ قال: منزلي دار الإمارة أو الحبس.

فلما قتل قال يزيد بن عبد الملك..طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما.

دخل الفرزدق علىٰ يزيد بن المهلّب في الحبس فأنشده:

صحّ في قيدك السماحة والمج ** د وفكّ العناة والإفضال

قال: أتمدحني وأنا في هذه الحال؟ قال. أصبتك رخيصا فاشتريتك. فأمر له بعشرة آلاف...تكلم عثمان حيان وكان لسنا مفوها.. قال يزيد بن المهلب: مرحبا بكم وأهلا، إن خير المال ما قضي فيه الحقوق وحملت به المغارم.

قالوا فيه: ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ** أحدا سواك إلىٰ المكارم ينسب

فاصبر لعادتنا التي عوّدتنا ** أو لا فأرشدنا إلىٰ من نذهب؟

ثم قالوا: مالي أرىٰ أبوابهم مهجورة ** وكأنّ بابك مجمع الأسواق

إنّي رأيتك للمكارم عاشقا ** والمكرمات قليلة العشّاق

ربيعة الرقي:

أراني ولا كفران لله راجعا ** بخفي حنين من نوال ابن حاتم

وقال آخر:

فما كلّ ما يخشىٰ الفتىٰ بمصيبه ** ولا كلّ ما يرجو الفتىٰ هو نائل

بارىٰ الرياح فأعطىٰ وهي جارية ** حتىٰ إذا وقفت أعطىٰ ولم يقف

مدح: بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن ** كأوّلهم في الجاهليّة أوّل

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ** أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

قيل في القسري:

إلىٰ خالد حتىٰ أنخن بخالد ** فنعم الفتىٰ يرجىٰ ونعم المؤمّل

قال عدي لمادحه..أمسك؛ لا يبلغ مالي أكثر من هذا.

قدم علىٰ الرشيد أعرابي من باهلة..وعمامة قد عصبها علىٰ فوديه وأرخىٰ لها عذبة من خلفه...فقل لنا بيتين في هذين- يعني محمدا الأمين وعبد الله المأمون ابنيه، وهما عن حفافيه..فأرودني(أمهلني) تتألف لي نوافر ويسكن روعي. قال: قد فعلت، وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك. قال: يا أمير المؤمنين، نفّست الخناق، وسهلت ميدان السباق؛ فأنشأ يقول:

بنيت لعبد الله ثمّ محمد ** ذرا قبة الإسلام فاخضرّ عودها

هما طنباها، بارك الله فيهما ** وأنت أمير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد: وأنت يا أعرابي، بارك الله فيك! فسل ولا تكن مسألتك دون إحسانك. قال الهنيدة يا أمير المؤمنين. فأمر له بمائة ناقة وسبع خلع.

ابن أبي حفصة في المهدي:

هل تطمسون من السماء نجومها ** بأكفّكم أو تسترون هلالها

يا بن الذي ورث النبيّ محمدا ** دون الأقارب من ذوي الأرحام

الوحي بين بني البنات وبينكم ** قطع الخصام فلات حين خصام

ما للنساء مع الرّجال فريضة ** نزلت بذلك سورة الأنعام

أنّىٰ يكون وليس ذاك بكائن ** لبني البنات وراثة الأعمام

ألغىٰ سهامهم الكتاب فحاولوا ** أن يشرعوا فيها بغير سهام

قال عبد الرحمن الثقفي للفرزدق..قل فيّ بيتين يعلقان أفواه الرواة، وأعطيكها عطية لم يعطها أحد قبلي فغدا عليه وهو يقول:

وأنت ابن بطحاوي قريش فإن تشأ ** فكن من ثقيف سيل ذي حدب غمر

وأنت ابن فرع ماجد لعقيلة ** تلقّت له الشمس المضيئة بالبدر

قال: أحسنت، وأمر له بعشرة آلاف.

قيل في الفضل بن يحيىٰ:

سأرسل بيتا ليس في الشّعر مثله ** يقطّع أعناق البيوت الشّوارد

أقام النّدىٰ والبأس في كلّ منزل ** أقام به الفضل بن يحيىٰ بن خالد

قيل في زبيدة:

لله درّك يا عقيلة جعفر ** ماذا ولدت من العلا والسّؤدد

إنّ الخلافة قد تبيّن نورها ** للناظرين علىٰ جبين محمد

فأمرت أن يملأ فمه درّا.

قيل في ابن طوق:

جعلتك دنياي فان أنت جدت لي ** بخير وإلا فالسّلام علىٰ الدّنيا

فقال: والله لأصدقنّ ظنك. فاعطاه حتىٰ أغناه.

قال دعبل ابن طاهر وهو راكب علىٰ حرّاقة (آلة)

عجبت لحرّاقة بن الحس ** ين كيف تسير ولا تغرق

وبحران من تحتها واحد ** وآخر من فوقها مطبق

وأعجب من ذاك عيدانها ** إذا مسّها كيف لا تورق

....فقال لي عبد الله: كم أعطاك؟ قلت: خمسة آلاف. قال: فقبلتها؟ قلت: نعم. قال لي: أخطأت؛ ما ثمن هذه إلا مائة ألف.

قيل في سعيد بن خالد:

عميد النّدىٰ ما عاش يرضىٰ به النّدىٰ ** فإن مات لم يرض النّدىٰ بعميد

الزبيري في آل مروان:

إمارتكم شفاء حيث كانت ** وبعض إمارة الأقوام داء

فأنتم تحسنون إذا ملكتم ** وبعض القوم إن ملكوا أساءوا

أأجعلكم وغيركم سواء ** وبينكم وبينهم الهواء

هم أرض لأرجلكم وأنتم ** لأيديهم وأرجلهم سماء

فقلت له: كم أعطىٰ عليها؟ قال: عشرين ألفا.

قال أبو مسلم لرؤبة..إنك أتيتنا وقد شفّ المال واستنفده الإنفاق، وقد أمرنا لك بجائزة، وهي تافهة يسيرة، ومنك العود وعلينا المعوّل، والدهر أطرق مستتبّ(صفات الجمل تعني الذلة) فلا تجعل بيننا وبينك الأسدّة(الحواجز) . قال رؤبة: فقلت: الذي أفادني الأمير من كلامه أكثر من الذي أفادني من ماله.

قال نصيب بن رباح لهشام..لي ابنة نفضت عليها من سوادي فكسّدها، فلو أنفقها أمير المؤمنين بشيء يجعله لها. قال: فأقطعها أرضا، وأمر لها بحلي وكسوة. فنفقت السوداء.(زواج تجاري).

وقيل لابن جعفر عن نصيب..أتفعل هذا بمثل هذا العبد الأسود؟ قال: أما لئن كان عبدا إن شعره فيّ لحرّ؛ ولئن كان أسود إنّ ثناءه لأبيض، وإنما أخذ مالا يفنىٰ وثيابا تبلىٰ ورواحل تنضىٰ ، وأعطىٰ مديحا يروىٰ وثناء يبقىٰ.

لما تزوجت بنته قال له هشام فبم أوصيتها ليلة أهديتها؟ قال: قلت لها:

سبّي الحماة وابهتي عليها ** وإن أبت فازدلفي إليها

ثم اقرعي بالعود مرفقيها ** وجدّدي الخلف به عليها

لا تخبري الدهر بذاك ابنيها

فقال: فهل أوصيتها بعد هذا؟ قال: نعم.

أوصيت من برّة قلبا برّا ❋❋ بالكلب خيرا والحماة شرّا

لا تسأمي خنقا لها وجرّا ❋❋ والحيّ عمّيهم بشرّ طرّا

وإن كسوك ذهبا ودرّا ❋❋ حتىٰ يروا حلو الحياة مرّا

قال طريح الثقفي مهنئا مروان بالخلافة..الحمد لله الذي أنعم بك علىٰ الإسلام إماما، وجعلك لأحكام دينه قواما، ولأمة محمد المصطفىٰ جنّة ونظاما. ثم أنشده شعره الذي يقول فيه:

تسوء عداك في سداد ونعمة ❋❋ خلافتنا تسعين عاما وأشهرا

فقال مروان: كم الأشهر؟ قال: وفاء المائة يا أمير المؤمنين، تبلغ فيها أعلىٰ درجة وأسعد عاقبة في النصرة والتمكين. فأمر له بمائة ألف درهم.

ثم تقدّم إليه ذو الرّمة متحانيا كبرة، قد انحلّت عمامته منحدرة عن وجهه، فوقف يسوّيها، فقيل له: تقدّم. قال: إني أجلّ أمير المؤمنين أن أخطب بشرفه مادحا بلوثة عمامتي. فقال مروان: ما أملت أنه أبقت لنا منك ميّ ولا صيدح(ناقته) في كلامك إمتاعا. قال: بلىٰ والله يا أمير المؤمنين؛ أرد منه قراحا، والأحسن امتداحا، ثم تقدّم فأنشد شعرا يقول فيه:

فقلت لها سيري، أمامك سيّد ❋❋ تفرّع من مروان أو من محمّد

فقال له: ما فعلت مي؟ فقال:

طويت غدائرها ببرد بلىٰ ❋❋ ومحا التّراب محاسن الخدّ

فالتفت مروان إلىٰ العباس بن الوليد، فقال: أما ترىٰ القوافي تنثال انثيالا؟ يعطىٰ بكل من سمّىٰ من آبائي ألف دينار. قال ذو الرمة: لو علمت لبلغت به عبد شمس.

قال المنصور لحاجبه قل للشعراء.. من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد، فإنما هو كلب من الكلاب؛ ولا بالحيّة، فإنما هي دويّبة منتنة تأكل التراب؛ ولا بالجبل، فإنما هو حجر أصم؛ ولا بالبحر، فإنما هو غطامط لجب(عظيم الموج)، ومن ليس في شعره هذا فليدخل؛ ومن كان في شعره فلينصرف. فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة، فإنه قال له. أنا له يا ربيع، فأدخلني. فأدخله، فلما مثل بين يديه، قال المنصور: يا ربيع، قد علمت أنه لا يجيبك أحد غيره؛ هات يا بن هرمة. فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

له لحظات عن حفافي سريره ** إذا كرّها فيها عذاب ونائل

لهم طينة بيضاء من آل هاشم ** إذا اسودّ من كوم التراب القبائل

إذا ما أبىٰ شيئا مضىٰ كالذي أبىٰ ** وإن قال إنّي فاعل فهو فاعل

فقال: حسبك! ها هنا بلغت، هذا عين الشعر، قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم. فقمت إليه وقبلت رأسه وأطرافه ثم خرجت، فلما كدت أن أخفىٰ علىٰ عينيه سمعته يقول: يا إبراهيم! فأقبلت إليه فزعا، فقلت: لبيك فداك أبي وأمي. قال:

احتفظ بها فليس لك عندنا غيرها! فقلت: بأبي وأمي أنت، أحفظها حتىٰ أوافيك بها علىٰ الصراط بخاتم الجهبذ(الخبير).

أنشد عليّ بن الجهم جعفرا المتوكل شعره الذي أوله:

هي النفس ما حمّلتها تتحمّل

وكان في يد المتوكل جوهرتان، فأعطاه التي في يمينه؛ فأطرق متفكّرا في شيء يقوله ليأخذ التي في يساره، فقال: مالك مفكرا؟ إنما تفكر فيما تأخذ به الأخرىٰ! خذها لا بورك لك فيها! فأنشأ يقول:

بسرّ من را إمام عدل ** تعرف من بحره البحار

يرجىٰ ويخشىٰ لكلّ أمر ** كأنّه جنّة ونار

الملك فيه وفي بنيه ** ما اختلف الليل والنهار

يداه في الجود ضرّتان ** عليه كلتاهما تغار

لم تأت منه اليمين شيئا ** إلا أتت مثله اليسار

قيل في ابن طاهر:

فأنت أولىٰ بتاج الملك تلبسه ** من هوذة بن عليّ وابن ذي يزن

قول ليلىٰ الأخيليّة للحجّاج :

إذا ورد الحجّاج أرضا مريضة ** تتّبع أقصىٰ دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها ** غلام إذا هزّ القناة سقاها

فقال لها: لا تقولي غلام، ولكن قولي: همام. ثم قال: أي النساء أحبّ إليك أنزلك عندها؟ قالت: ومن نساؤك أيها الأمير؟ قال: أم الجلاس بنت سعيد بن العاص الأموية، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية، وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العتكيّة. قالت: القيسية أحبّ إليّ. فلما كان من الغد دخلت عليه. قال: يا غلام، أعطها خمسمائة. قالت: أيها الأمير، أحسبها أدما . قال قائل: إنما أمر لك بشاء. قالت: الأمير أكرم من ذلك. فجعلها إبلا علىٰ استحياء، وإنما كان أمر لها بشاء أوّلا.